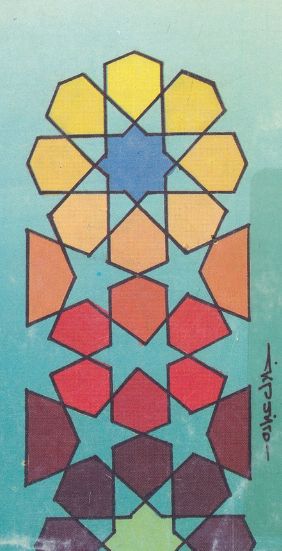
الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع

للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي

(٨٤٩ - ٩١١ هـ)

دراسة وتحقيق

مصطفى عاشور





الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع

للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي

(٨٤٩ - ٩١١ هـ)

دراسة وتحقيق

مصطفى عاشور

مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع

٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق

القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١





كلمـة المحقـق

الحمد لله من هُدِىَ الى صراطه المستقيم فقد فاز فوزاً عظيماً ومن خرج عليه فقد خسر خسراناً مبينا ، وضلَّ ضلالاً بعيدا ..

واشهد أن سيدنا محمداً رسول الله قال له ربه :﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً** ﴾ (**الجاثية : ١٨ ــ ١٩**) .

وليس هناك شك فى أن الشريعة قد جاءت لمصالح العباد فى عاجلتهم وآجلتهم ، وان ما خرج عما رسمه الشارع فهو البدعة ، ولله دَرُّ الإمام مالك فكثيرا ما كان ينشد :

وخير الأمور ما كان سنةً
وشر الأمور المحدثات البدائع

وكلما طال العهد بالمسلمين ، تجلت غربة الإسلام ، والتبس الحق بالباطل ، واختلطت الأمور ، واستحكمت البدع والخرافات وحار الناس فى أمر دينهم ، فإذا البدعة سنة ، وإذا السنة بدعة ، وكادت الرؤية تنعدم فى ذلك الجو الغريب عن شريعة الإسلام !!

ويتساءل المسلم الغيور على دينه :

كيف الطريق الى الله ؟!
وكيف الطريق الى السنة ؟!

ونجيب بما أجاب به ابو على الحسن بن على الجوزجانى حيث قال : « **الطرق الى الله كثيرة ، واوضح الطرق وأبعدها عن الشبه : اتباع السنة قولا ، وفعلا ، وعزما ، وعقداً ، ونيةً ، « لان الله تعالى يقول : ﴿ وان تطيعوه تهتدوا ﴾** .

فقيل له كيف الطريق الى السنة ؟ فقال :

مجانبة البدع ، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام ، ولزوم طريقة الاقتداء .

وقد يقودنا البحث إلى سبب اختلاف الناس ، وتفرقهم ، من أين يأتى ؟!

وقد أجاب يحيى بن معاذ الرازى عن مثل هذا التساؤل بقوله :

« اختلاف الناس يرجع إلى ثلاثة أصول ، فلكل واحد منها ضد ، فمن سقط عنها وقع فى ضده : التوحيد وضده الشرك ، والسنة وضدها البدعة ، والطاعة وضدها المعصية » .

ولقد صدق رسولنا الكريم ﷺ فى الحديث المتفق عليه حينما تبرأ من الذين يرغبون عن سنته إلى رهبانية ابتدعوها فقال : **« من رغب عن سنتى فليس منى »**

وهناك قدر مشترك يتفق عليه الجميع فيما هو « بدعة » عبروا عنه بقولهم :

« ما جُعِلَ ديناً وليس منه ـــ مذموم اتفاقا ، كما أنه يُسَمَّى بدعة اتفاقاً »[1]

ولا يسعنا ونحن نقدم للعالَم الإسلامى كتاب العالِم المصرى الإمام جلال الدين السيوطى **« الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع » إلا أن نشكر الله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، فلقد سلط الضوء على عقيدة أهل السنة والجماعة ليحيا من حَىَّ عن بينه ، ونبه إلى كثير من البدع التى فشت ، واستحكمت ، وأطلت برأسها فى عصره ، ومازالت « تحيا » حيث توارثتها الأجيال ، ووجدت من يعمل على إحيائها ونشرها .**

واذا كانت فصول الكتاب قد تعددت ، لتضم ألوان البدع فقد كان من الواجب أن أجمع بينها ، وأنظم ما انفرط من عقدها فى « وحدات » تجمعها وعناوين تضمها دون مساس بالأصل (تقديما أو تأخيرا أو زيادة أو نقصا) .

ويجد القارىء نفسه أمام **« مقدمة »** للمؤلف يسلط الضوء فيها على السنة والبدعة ، ويعرض ما جاء من الأمر بلزوم السنة والنهى عن الفرقة ، ويأخذ بيد

---

(١) الاعتصام للشاطبى .

القارىء لكى يميز بين السنة والبدعة ذاكرا له أنواع البدع ما حسن منها وما قبح !

ويقابل هذه المقدمة « **خاتمة** » فى التمسك بعقيدة أهل السنة .

أما أبواب الكتاب فسوف تطالعك فى مقدمتها :

- **بدع معاشرة الأحداث ومخالطتهم ، والسماع والرقص .**
- **بدع تعظيم الأماكن والقبور .**
- **بدع الأعياد والمناسبات والمواسم .**
- **بدع الكلام والمشى .**
- **بدع التبتل والانصراف عن الدنيا .**
- **بدع متفرقات .**

وكل ما نبتغيه ألا يضيع الطريق من أقدامنا ، وكم يعجبنى ما قاله عمر بن عبد العزيز فى هذا المجال :

«سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر فى شىء خالفها .

«ومن عمل بها مهتدٍ ، ومن انتصر بها منصور ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا» .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه — آمين .



دراسة التحقيق

المؤلف والكتاب

اولا : المؤلف :

(١) توطئــة .

(٢) لوحة حياته .

(٣) مؤلفاتــه .

(٤) ثناء العلماء عليه .

ثانيا : الكتــاب :

(٥) نسبة الكتاب إلى السيوطى .

(٦) مضمون الكتاب .

(٧) سبب تأليف الكتاب .

(٨) وصف المخطوطة .

(٩) منهج التحقيق .

أولا : المؤلف

توطئــة :

بادىء ذى بدء ، نقول : إن شخصية جلال الدين السيوطى المتعددة الجوانب شخصية فذة بلا ريب ، جديرة بالبحث والدراسة . فلقد جمع السيوطى إلى التبحر فى العلوم الدينية ، العلم باللغة ، والتأليف فى الادب ، والعناية بتاريخ مصر السياسى والاجتماعى ، وعجائب مصر وآثارها .

ويعتبر واحدا من أبرز الشخصيات الأدبية فى القرن الخامس عشر ، جال بقلمه فى كافة مجالات العلوم العربية ، فكتب فى القرآن والحديث والفقه والفلسفة والتاريخ وفلسفة اللغات والبلاغة والأدب وغيرها .

لقد أولع بالثقافة ، وبتنقل بين مراكز التعليم ، وتذكر مصادر تاريخية أنه قد درس على ستمائة شخص من شيوخ عصره بمختلف البلاد .

وأنه تصدى لتدريس الفقه والحديث ، كما تصدى للإفتاء ، ثم كان قاضى القضاة بمصر والشام والممالك الاسلامية المجاورة فى عصره .

وحين توفر على التأليف كان من أكثر المؤلفين إنتاجا ، أربت كتبه ـــ كما قيل ـــ على الخمسمائة .

ومهما قيل فى شأن مصنفاته من أن طابع التجميع هو الغالب عليها ، فإن ذلك لا ينفى عنها أنها شواهد نشاط جَمّ ، وحيوية فائقة ، وإخلاص عظيم للثقافة . فلقد استطاع أن يقرب كثيرا من المعارف إلى أهل عصره بما أنفق من جهده فى تلخيص المؤلفات الضخمة وتهذيبها ، فكان أن انتشرت ملخصاته فى أرجاء العالم الإسلامى .

وما تزال مؤلفاته حتى اليوم مصدرا غنيا للدارسين .

حياتـــه :

مؤلفنا هو عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الخضيرى الأسيوطى يلقب بجلال الدين ، ويكنى أبا الفضل ، والخضيرى نسبة إلى الخضيرية محلة ببغداد ، والأسيوطى نسبة إلى أسيوط التى ولد وعاش فيها أجداده وأبوه قبل أن ينزح إلى القاهرة .

وقد ولد فى القاهرة فى أول رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وتعهده والده منذ الصغر بحفظ القرآن ، ولكن والده توفى وعمر جلال الدين خمس سنوات ، وقد وصل فى حفظ القرآن عند موته إلى سورة التحريم .

وتمكن من تمام حفظ القرآن كله وعمره دون الثامنة . ويدل ذلك على قدرة حافظة مكنته فيما بعد أن يحفظ مائتى ألف حديث على ما أثبته فى كتابه تدريب الراوى .

وقد درس السيوطى الفقه على شيخ إسلام عصره علم الدين البلقينى ، ولازمه إلى أن مات .

وألف فى أثناء حياته شرح الاستعاذة والبسملة ؛ فاطلع عليها البلقينى وأثنى عليه ، وكتب تقريظا للكتاب .

ولازم بعد ذلك ولد البلقينى ، ودرس على يده عدة كتب من الفقه الشافعى .

ثم لازم السيوطى الشرف المناوى .

ولازم الإمام تقى الدين السبكى الحنفى أربع سنوات ، ودرس على يديه الحديث واللغة .

ودرس على العلامة الكافيجى علمى الأصول والتفسير لمدة أربع سنوات .

وقد قام جلال الدين بمجموعة من الرحلات العلمية ؛ حيث زار اليمن والمغرب والهند .

وقد اشتغل بالإفتاء ، وتدريس الفقه والحديث والنحو وغير ذلك من الفنون .

ثم ترك الإفتاء والتدريس وهو فى الأربعين من عمره ، واعتزل فى منزله متفرغا للتصنيف .

وظل على ذلك إلى أن توفى فجر يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرة وتسعمائة ، ودفن فى حوش قوصون .

(٣) مؤلفاته وتصانيفه :

مما لاشك فيه أن مؤلفات السيوطى ملء الأسماع والأبصار ، وهى من التنوع والكثرة بحيث تشمل مختلف العلوم والدراسات . فهو صاحب إسهامات وافرة فى علوم الحديث والفقه والقرآن والأصول واللغة والتاريخ ...

والسيوطى فى كل ما يصدر عنه من مؤلفات يبدو وكأن الصفة الموسوعية قد فرضت نفسها عليه فرضاً .

وقد بلغت مصنفاته حوالى ستمائة كتابٍ .

نذكر منها : الإتقان فى علوم القرآن ، والإكليل فى استنباط التنزيل ، وتناسق الدرر فى تناسب السور ، وإسعاف المبطأ فى رجال الموطأ ، وأسماء المدلسين ، والجامع فى الفرائض ، ومفتاح الجنة فى الاعتصام بالسنة ، ولمعة الإشراق فى الاشتقاق ، وطبقات الكتاب ، والأَرَجْ فى الفَرْج .

(٤) ثناء العلماء عليه :

قال ابن العمار الحنبلىّ فيه «المسند المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة» .

وقال الشّوكانىّ : «إمامٌ كبير فى الكتاب والسنة ، محيط بعلوم الاجتهاد إحاطة متضاعفة عالم بعلوم خارجة عنها»

وقال الشوكانىّ أيضا : «برز فى جميع الفنون ، وفاق الأقران ، واشتهر ذكره ، وبعد صيته[٢] ، وصنف الكتب المفيدة» .

---

(٢) الصوتُ ، والصاتُ ، والصِّيتُ ، والصِّيتَةُ : الذكر الحسن .



ثانيا : الكتـــاب

(٥) نسبة الكتاب إلى السيوطى :

بالرجوع إلى كتب التراجم يتبين المرء بكل وضوح أن الكتاب للإمام السيوطى .

فضلا عن إشارة الإمام السيوطى لهذا الكتاب غير واحد من مؤلفاته الأخرى .

هذا بالإضافة إلى أن كل المخطوطات التى وقعت تحت أيدينا لهذا الكتاب تجمع على نسبته إلى الإمام السيوطى .

(٦) مضمون الكتاب :

يتناول كتاب «الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع» كل البدع التى ظهرت فى بلاد المسلمين ، التى لا أصل لها فى الشريعة ولا مستند .

وفى نفس اللحظة التى يذكر فيها البدع وأصولها وفروعها وعادات العامة وأوهامها ينبه على مالا بد منه لمن يتصدى لمحاربة البدع المذمومة والعوائد القبيحة .

وهو لا يكتفى بذكر البدع والتنبيه عليها ، بل يأمر باتباع سنة رسول الله ﷺ ، ويبين سنته وعاداته التى كان يعيش وفقا لها ، كما يوضح لنا أسلوب صحابة رسول الله فى حياتهم وأحوال معيشتهم ، ويورد لنا كثيراً من أقوالهم .

(٧) سبب تأليف الكتاب :

مما لاشك فيه أن البدع ذات تأثير سلبى هدام فى حياة المجتمعات الإسلامية .
ولذا فقد رأى السيوطى وجوبَ التصدى لها بالتحليل والدراسة ، منبهاً على خطورتها ونتائجها الضارة .

(٨)وصف المخطوطة :

عثرنا على نسخة هذا الكتاب فى دار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٦٣٩٨ ميكروفيلم . وهى تقع فى ١١٣ صفحة .

وثابت فى اللوحة رقم (١) اسم الكتاب واسم المؤلف .

وخط الكتاب نسخ مشرقى ، ورغم أنه واضح إلا أن به كثيراً من الصعوبات ، وهو خط حديث ؛ إذ تم نسخه – كما هو ثابت فى نهايته – سنة ١٣١٧ هـ ، أى قرابة مائة عام .وكل صفحة تتضمن حوالى (١٧) سطراً ، وكل سطر به حوالى (١١) كلمة .

(٩) منهج التحقيق :

اتبعنا فى تحقيق هذا الكتاب الخطوات الآتية :

١ ــ رجعنا إلى ما تيسر من المصادر التى استند إليها السيوطى فى تأليف كتابه ، مثل : الاعتصام للإمام الشاطبى ، والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبى شامة الشافعى وقد أعاننا ذلك على تصحيح النص وتخليصه من شوائب التصحيف والتحريف وسائر الأخطاء .

كما راجعنا إلى بعض الكتب الأخرى الحديثة التى تناولت هذا الموضوع ، مثل : الإبداع فى مضار الابتداع للشيخ على محفوظ .

٢ ــ خرجنا الآيات القرآنية .

٣ ــ خرجنا الأحاديث النبوية التى لم يخرجها السيوطى ، وذلك من مظانها الأصلية ما وسعنا الجهد .

٤ ــ ترجمنا لبعض الأعلام .

٥ ــ علقنا على بعض المواضع التى اقتضت التعليق .

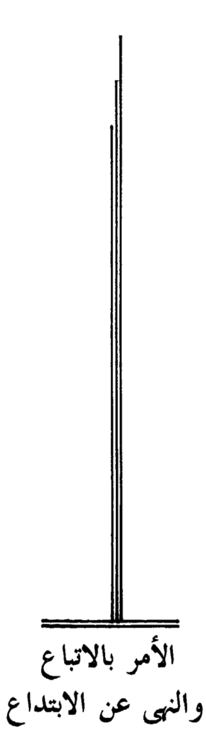
٦ ــ أجرينا بعض المقارنات بين الكتاب وبين الكتب المؤلفة فى نفس الموضوع .

٧ ــ شرحنا الألفاظ الغريبة والمصطلحات .

٨ ــ وضعنا عناوين لفصول الكتاب كلها ، وذلك تيسيرا على القارىء .
٩ ــ كتبنا الكتاب وفقا لقواعد الإملاء المعاصرة ، ونسقناه ، ورتبناه ، وقسمناه إلى جمل وفقرات ؛ حتى يعرف القارىء أين يبتدىء وأين ينتهى .
١٠ ــ قدمنا للكتاب بدراسة عن السيوطى ومؤلفه «الأمر بالاتباع» .

مصطفى عاشور

القاهرة فى المحرم ١٣٠٧ هـ
سبتمبر ١٩٨٦ م



الأمر بالاتباع
والنهى عن الابتداع

آيات القرآن التى تأمر بالاتباع وتنهى عن الابتداع

مقدمة المؤلف الإمام

جلال الدين السيوطى

قال الله عز وجل : ﴿ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون وَيؤُتوُنَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى﴾ إلى قوله : ﴿فالذين آمنوا بِه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذِى أنزل معه اولئك هم المفلحون﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذُنُوبَكُمْ﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه وأنتم تَسْمَعُونَ﴾ الى قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحْيِكُم﴾[٦] .

وقال تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٧] .

وقال تعالى : ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

---

(٣) الأعراف : ١٥٧ .

(٤) الاعراف : ١٥٨

(٥) آل عمران : ٣١

(٦) الأنفال : ٢٠ : ٢٤ .

(٧) الحشر : ٧ .

فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[8] .

وقال تعالى : **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**[9] .

وقال تعالى : **﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾**[10] .

قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فى قوله : (فردوه إلى الله والرسول) أى إلى ما قاله الله والرسول .

الى غير ذلك من الآيات .

الأحاديث التى تأمر بالاتباع :

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطّاً ، ثم قال : «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : «**هذه سُبُلٌ ، على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه**» ، ثم قرأ «**وأنَّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**»[11] الآية .

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون[12] ، ووجلت منها القلوب ؛ فقال رجل : يارسول الله ، كأنها موعظةَ مُودِّع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشياً ؛ فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ،**

---

(٨) الأنعام : ١٥٣ .

(٩) النور : ٦٣ . (١٠) النساء : ٥٩ .

(١١) أخرجه أحمد : الجزء الاول ٤٣٥ .

(١٢) (ذَرَفَ) الدمع – ذَرْفاً ، وذُرُوفاً ، وذريفاً : سال . و ــ العين : جرى دمعُها . و ــ العينُ دمعها : أسالته . فهو مذروف ، وذريف . و (ذرف) الدمع ــ ذرفاً : سال . و (ذرفت) العين دمعها تذريفاً ، وتذرافا ، وتذرفة : صبته .

فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، أخرجه أبو داود والترمذى» .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **«ذرونى ما تركتكم فإنما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»** متفق عليه(١٣) .

وعن بلال بن الحارث ان النبى ﷺ قال له : **«اعلم قال : ما اعلم يا رسول الله ؟ قال : اعلم يا بلال . قال ذرونى أعلم يا رسول الله ؟ قال : إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدى فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا »** . رواه الترمذى(١٤)



(١٣) رواه البخارى بلفظ دعونى .. ، ومسلم بلفظ : « ذرونى ما تركتم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» .

(١٤) ورواه ابن ماجه والدارمى وأحمد بن حنبل .

فصـــل

فى الامر بلزوم السنة والجماعة والنهى عن الفرقة

قال الله تعالى : ﴿**وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم**﴾ .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن عمر رضى الله عنه خطب بالجابية ، فقال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا فقال : «**من أراد منكم بَحبُوبَةَ الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد**» . رواه الترمذى وصححه[15] .

وقال رسول الله ﷺ : «**يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة**»[16] .

وعن أبى شريك رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**يد الله على الجماعة ، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم**»[17] .

وعن معاذ رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية النائية ، فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة**

---

(١٥) بحبوحة الدار : وسطها ، وبحبوحة العيش : رغده وخياره . وأخرجه أيضا احمد فى المسند الأول : ص ٥٦ .

(١٦) أخرجه الطبرانى عن عرفجة . جمع الجوامع : الأول ، ص ٩٩٨ .

(١٧) أخرجه الطبرانى ، وابن قانع فى الأفراد ، وأبو نعيم فى المعرفة ؛ عن أسامة بن شريك . المصدر السابق ، نفس الموضع .

والعامة والمسجد »[18] .

وعن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة ؛ فعليكم بالجماعة ، فإن الله لم يجمع أمتى إلا على هدى** »[19] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول ﷺ : « **لَيَأْتِيَنَّ على أمتي ما أتى على بنى إسرائيل حَذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ**[20] **، حتى إن كان منهم من يأتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك . وإن بنى إسرائيل تفرقوا اثنين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاثة وسبعين فرقة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة** » قالوا : من هى يارسول الله قال : « **ما أنا عليه وأصحابى** » أخرجه أبو داود والترمذى[21] .

ما جاء عن السلف فى الأمر بالاتباع :

وعن معاوية بن أبى سفيان : أنه قام فى الناس خطيباً ، فقال : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين ملة ، اثنان وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة ، وهى الجماعة .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة .. وقال أبى بن كعب رضى الله عنه : عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فمسته النار أبداً . وإن اقتصاداً فى سبيل وسنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى

---

(١٨) أخرجه عبد الرزاق ، وابن حبان فى صحيحه ؛ عن معاذ .

(١٩) أخرجه أحمد ، عن البخترى بن عبيد ، عن أبيه ، عن أبى ذر .

(٢٠) كما نقول : طبق الأصل ، ويقال : حذا الفعل بالفعل : قدرها بها وقطعها على مثالها .

(٢١) وقال الترمذى : حسن غريب . كما أخرجه الطبرانى فى الكبير . جمع الجوامع : الجزء الأول ، ص ٦٧٤ .

السنة وينهى عن البدعة . وقال أبو العالية : عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا .

وقال الأوزاعى رضى الله عنه : اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ؛ فإنه يسعك ما وسِعهم .

وقال الأوزاعى أيضا : رأيت رب العزة فى المنام ، فقال لى : يا أبا عبد الرحمن ، أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فقلت : بفضلك يارب . قلت : يارب أَمِتْنِى على الإسلام ، قال : وعلى السنة .

وقال يوسف بن أسباط : إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة ، فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة .

وقال أيوب : إنى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة ، فكأنى أفقد بعض أعضائى . وقال أيضا : إن من سعادة الحدث والأعجمى أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة .

وقال ابن شوذب : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يوافى صاحب سنة يحمله عليها .

وقال ابن أسباط : كان أبى قدرياً[٢٢] ، وأخوالى روافض[٢٣] ، فأنقذنى الله بسفيان .

وقال معتمر بن سليمان : دخلت على أبى وأنا منكسر القلب ، فقال لى : مالك ؟ قلت نعم : فقال لا تحزن عليه .

وقال سفيان الثورى : استوصوا بأهل السنة خيرا ، فإنهم غرباء .

---

(٢٢) نسبة إلى القدرية ، وهم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله تعالى .

(٢٣) مفردها : رافضة ، وهم فرقة من الشيعة تجيز الطعن فى الصحابة : سموا بذلك لأن أوليهم رفضوا زيد بن على حين نهاهم عن الطعن فى الشيخين .

وقال أبو بكر بن عياش : السنة فى الإسلام أعز من الإسلام فى سائر الأديان .

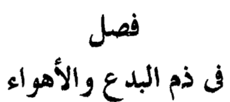
وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأنى رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال الجنيد رحمه الله : الطرق كلها مسدودة إلا على المقتفين[٢٤] آثار رسول الله ﷺ والمتبعين سنته وطريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ، كما قال تعالى : ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**﴾[٢٥] .



(٢٤) المقتفين : جمع مقتف وهو الذى تتبع الشىء .

(٢٥) الاحزاب : ٢١



فصل
فى ذم البدع والأهواء

الآيات التى تذم البدع والأهواء : قال الله تعالى : ﴿**ومن أضل مِمَّن اتبع هواه بغير هدى من الله**﴾(٢٦) .

وقال تعالى : ﴿**ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾(٢٧) .

الأحاديث التى تذم البدع والأهواء :

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « **من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد** » ، وفى رواية « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » . متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ ، أنه قال : « **من رغب عن سنتى فليس منى** » . أخرجه البخارى .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا فرطكم(٢٨) على الحوض ولَيَخْتَلِجن(٢٩) رجال دونى ، فأقول : يارب أصحابى ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك** » . متفق عليه .

آثار السلف فى ذم البدع والأهواء :

وقال عبد الله بن محيريز : يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة .

---

(٢٦) القصص : ٥٠ .

(٢٧) ص : ٢٦ .

(٢٨) يقال : فرَط فلانٌ قَومَه أى تقدمهم الى مورد الماء لإصلاح الحوض والدلاء .

(٢٩) يموجون فى تدافع ، عطاشى .

وقال معاذ بن جبل : إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ، ويفتح القرآن على الناس حتى تقرأه المرأة والصبى والرجل فيقول الرجل : قد قرأت القرآن فلم أتبع ، والله لاقومن به فيهم لعلى أتبع ، فيقوم به فيهم فلا يتبع ، فيقول : قد قرأت القرآن فلم أتبع ، وقمتْ به فيهم فلم أتبع لأحْتَضِرَنْ فى بيتى مسجداً فيحتضر فى بيته مسجداً ، فلا يتبع ، فيقول : لقد قرأت القرآن فلم أتبع ، وقمت به فلم أتبع ، وقد احْتَضَرْت فى بيتى مسجداً فلم أتبع . والله لآتينّهم بحديث لا يجدونه فى كتاب الله ولم يسمعوه من رسول الله ﷺ لعلى أتبع . فإياكم وما جاء به ، فإن ما جاء به ضلالة .

وروى هذا الأثر أبو داود بلفظ آخر ، فقال معاذ : إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن ، حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر ، فيوشك أن يقول قائل : ما للناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بِمُتَّبِعِىَّ حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة ، وأحذركم زيفة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم . وقد يقول المنافق كلمة الحق[٣٠] .

وقال عبد الله : تعلموا العلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يذهب أهله . ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع ، وعليكم بالعتيق .

وفى رواية أخرى : أيها الناس إنكم ستحدثون ويحدثُ لكم ، فإذا رأيتم مُحَدَثَةً فعليكم بالأمر الأول .

وعن قيس بن أبى حازم ، دخل أبو بكر رضى الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها زينب ، فرآها لا تتكلم ، فقال : مالها ؟ فقيل : حجت . فقال لها : تكلمى فإن

---

(٣٠) قال الراوى : قلت لمعاذ : وما يدرينى يرحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة ضلالة ، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال : بلى ! اجتنب من كلام الحكيم غير المشتهرات التى يقال فيها : ما هذه ؟ ولا يثنينك ذلك عنه ، فإنه لعله أن يراجع وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نوراً .

وفى رواية مكان المشتهرات « المشتبهات » ، وفسر بأنه ما تشابه عليك من قول حتى يقال : ما أراد بهذه الكلمة ؟ ويريد ـــ والله أعلم ـــ ما لم يشتمل ظاهره على مقتضى السنة حتى تنكره القلوب ويقول الناس : ما هذه ؟ وذلك راجع إلى ما يحذر من زلة العالم .

هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية .

وعن زياد بن حدير قال : قال عمر رضى الله عنه : هل تدرى ما يهدم دين الإسلام ؟ قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال منافق بالآيات ، وحكم الأئمة المضلين .

وعن عمر رضى الله عنه قال : سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات[٣١] القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فإن أهل السنة أعلم بكتاب الله عز وجل .

وعن عثمان الأزدى ، قال : دخلت على ابن عباس رضى الله عنهما ، فقلت له : أوصنى فقال : عليك بتقوى الله تعالى والاستقامة ، اتبع ولا تبتدع .

وَرَوَىَ البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إن أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع ، وإن من البدع الاعتكاف فى المساجد التى فى الدور .

وَرَوَىَ أبو داود فى سننه عن حذيفة رضى الله عنه ، قال : كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوا بها ؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالا ؛ فاتقوا الله يا معشر القراء ، خذوا طريق من كان قبلكم .

ومن كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أوصيكم بتقوى الله ، والاقتصاد فى أمره ، واتباع أمر رسول الله ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون بعده .

وقال ابن سيرين رحمه الله : ما أحدث رجل بدعة فراجع سنة .

---

(٣١) فى القرآن محكم ومتشابه كما قال تعالى ﴿**وهو الذى انزل عليك الكتاب ، منه ايات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات**﴾ آل عمران : ٧ وقد قال السيوطى فى الإتقان : اختلف فى تعيين المحكم والمتشابه على أقوال منها :

١ ــ ان المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور ، وإما بالتأويل ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة ، وخروج الدجال ، والحروف المقطعة فى أوائل السور .

٢ ــ أن المحكم ما وضح معناه ، والمتشابه نقيضه .

٣ ــ أن المحكم لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما احتمل أوجهاً .

أعمال صاحب البدعة لا تقبل حتى يدعها

وقال الحسن : لا يقبل الله لصاحب بدعة صوماً ، ولا صلاة ولا حجاً ، ولا عمرة ، حتى يدعها .

وقال محمد بن أسلم : من وقر صاحب بدعة ، فقد أعان على هدم الإسلام .

وقال ابو معشر : سألت إبراهيم عن شيء من هذه الأهواء ، فقال : ما جعل الله فى شيء منها مثقال ذرة من خير ، ما هى إلا نزغة من الشيطان ، عليك بأول الأمر .

وعن ابن عمر رضى الله عنه ، قال : كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة .

وقال عمر : كان طاوس جالسا يوما وعنده ابنه ، فجاء رجل من المعتزلة ، فتكلم فى شيء ، فأدخل طاوس أصبعه فى أذنيه ، وقال : يابنى أدخل إصبعك فى أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئا ؛ فإن هذا القلب ضعيف . ثم قال : أى بنى أشدد ، فما زال يقول أشدد حتى قام الرجل .

مقاطعة وتجنب من يترددون على الفرق المخالفة لأهل السنة مثل المرجئة :

وعن محمد العينى ، قال : كان رجل معنا يختلف[٣٢] إلى إبراهيم ، فبلغ إبراهيم أنه دخل فى الإرجاء[٣٣] ، فقال له إبراهيم : إذا قمت من عندنا فلا تعد .

وقال محمد بن داود الحرانى : قلت لسفيان بن عيينة : إن هذا يتكلم فى

---

(٣٢) يختلف إليه : يتردد عليه .

(٣٣) الذين يقولون بالإرجاء هم المرجئة ، وهم قوم يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

القدر ــ يعنى إبراهيم بن أبى يحيى ــ فقال سفيان : عرفوا الناس أمره ، واسألوا ربكم العافية .

وقال صالح المرى : دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ، ففتح باباً من أبواب القدر ، فتكلم فيه . وقال ابن سيرين : إما أن تقوم وإما أن نقوم .

وقال سلام بن مطيع : قال رجل من أهل الأهواء لأيوب : لا أكلمه بكلمة ، فقال : ولا بنصف كلمة .

وقال أيوب ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعداً .

البدعة أحب إلى إبليس من المعصية :

وقال سفيان الثورى رحمه الله : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية يُتَابُ منها ، والبدعة لا يُتَابُ منها .

وقال : من سمع مبتدعاً لم ينفعه الله بما سمع ، ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة .

ولما مرض سليمان الهيثمى بكى بكاء شديداً فقيل له : ما يبكيك ؟ الجزع[٣٤] من الموت ؟ فقال : لا ، ولكن مررت على قدريٍ فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبنى ربى عليه .

وقال الفضيل بن عياض : من جلس الى صاحب بدعة أحبط[٣٥] الله عمله ، وأخرج نور الإيمان ــ أو قال الإسلام ــ من قلبه .

وقال : إذا رأيت مبتدعا فى طريق فخذ فى طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب

---

(٣٤) (جَزِعَ) ــ جَزَعاً ، وجزوعاً : لم يصبر على ما نزل به ، فهو جزع ، وجازع ، وجزوع ، وجزاع . وفى المثل : « من جزع اليوم من الشر ظلّم » : يضرب عند صلاح الأمر بعد فساده ، أى لا شر يُجزع منه اليوم .

(٣٥) (أحبط) ماء البئر : حبط .و ــ عمله ودمه : أبطله . وفى التنزيل العزيز : ﴿ فأحبط الله أعمالهم ﴾ .

بدعة إلى الله عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام .

وقال : من زَوَّج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها .

وقال : من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، وإذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له !

وقال محمد بن نصر الحارثى : من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نُزعت منه العصمة ، ووكل إلى نفسه .

وقال الليث بن سعد : لو رأيت صاحب هوى يمشى على الماء ما قبلته .

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : أما إنه قد قصد لو رأيته يمشى فى الهواء ما قبلته .

وسأل رجل عمر بن عبد العزيز عن الأهواء ، فقال : الزم دين الصبى فى المكتب ، والْهُ عما سوى ذلك .

مدلول البدع عند مالك بن أنس ؟

وقال مالك بن أنس : إياكم والبدع ، قيل : يا أبا عبد الله ، وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان . وقالوا : لو كان الكلام[٣٦] علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا فى الأحكام ، ولكنه باطل يدل على باطل .

---

(٣٦) علم الكلام — هو علم التوحيد .. وهو علم يبحث فيما ينبغى أن يعرفه المسلم عن الله وأسمائه وصفاته ، ويبحث فى القضاء والقدر والإيمان والحساب . هو علم موضوعه اصول الدين وعقائده ، وهدفه حراسة العقيدة الإسلامية من غارات الفكر الوثنى عليها .

غير أنه أخطأ فى بداية حياته عدة أخطاء كانت كافية لذهاب دولته بسبب افتتان المعتزلة بالعقل وجرأتهم ، وانحرافهم عن الطريق ، واعتقدوا أن القرآن مخلوق ، وعارض المحدثون وقالوا : إن القرآن كلام الله تعالى : لا نقول مخلوق فإثارة هذه المسألة بدعة لم يقلها النبى ولا صحابته .

وسئل سفيان الثورى عن الكلام ، فقال : دع الباطل ، أين أنت من الحق ؟ اتبع السنة ، ودع البدعة .

وقال : وجدت الأمر بالاتباع .

وقال : عليكم بما عليه الحمالون والنساء فى البيوت والصبيان فى المكاتب من الإقرار[37] والعمل .

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشىء من الأهواء .

وقال أيضاً : لأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتليه بالكلام .

وقال ما ابتدأ احد بالكلام فأفلح . وقال ايضاً : حكمى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام .

وقال مالك : بئس القوم هؤلاء أهل الأهواء لا يسلم عليهم .

وقال ابو الحسن البغوى : قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم .

ويرى ابن قدامه فى رسالته (لمعة الاعتقاد) أن من السنة هجران أهل البدع ، وكل مُحدثة بدعة ، وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية ، والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة ، والكرامية ، والكلابية ، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع .

هذا وقد كان السلف يرون الوقوف عند النصوص ، ولا يسمحون لأنفسهم بتأويلها ؛ لأنهم يرون أن معرفة صفات الله وذاته فوق إدراك العقل البشرى ، فهم يؤمنون بما جاء .. كما جاء .. موقفهم موقف التسليم والتفويض . أما الخلف فموقفهم قد اختلف فقالوا لا مانع من تأويل الآيات وتنزيه الله .. ويرى ابن الجوزى : أن مذهب السلف لم يكن أخذ آيات الصفات على ظاهرها ، لأن الأخذ بظاهرها فيه تجسيم وتشبيه . إنما كان مذهب السلف هو السكوت تماما عن البحث فيها .

(٣٧) المراد الاستجابة والإذعان والخضوع .

وقال ابن عمر فى أهل القدر : خبرهم أنى برىء منهم وأنهم برآء منى .

وقال أبو قلابة : لا تجالسوا أصحاب الأهواء ، فإنى لا آمن من أن يغمسوكم فى ضلالهم ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون .

وقال سفيان : من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه ولا يلقها فى قلوبهم .

وقال أبو الحسن البغوى : قد كفر بعض أهل العلم طوائف منهم ، فروى عن جماعة من السلف تكفير مَنْ قال بخلق القرآن ، وروى ذلك عن مالك ، وابن عُيَيْنة وابن المبارك ، والليث بن سعد ، ووكيع بن الجراح . وناظر الإمام الشافعى لحفص الفرد ، وكان يسميه لحفص الفرد ، فقال : القرآن مخلوق ، فقال الشافعى : كفرت بالله العظيم .

وقال محمد بن إسماعيل البخارى : نظرت فى كلام اليهود والنصارى والمجوس ، فما رأيت قوماً أضل فى كفرهم من الجهمية ، وإنى لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم وقال : ما باليت صليت خلف اليهود والنصارى .

وحكى عن عبد الله بن احمد عن أبيه ، فيمن قال بخلق القرآن : أنه لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها ، إلا أنه لا يدع إتيانها ، فإن صلى أعاد الصلاة .

وقال مالك بن أنس : من يبغض أحداً من أصحاب النبى ﷺ ، وكان فى قلبه عليهم غِلّ ، فليس له حقٌّ فى فىء[38] المسلمين ، ثم قرأ : ﴿**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى**﴾ إلى قوله : ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**[39] ﴾ . الآية

(38) الفىء : ما رده الله تعالى على أهل دينه من أموال مَنْ خالفهم فى الدين بلا قتال ، إما بالجلاء ، أو بالمصالحة ، على جزية أو غيرها .
(39) الحشر : ١٠ .

وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية : ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ إلى قوله : ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾[٤٠] . ثم قال : من أصبح من الناس فى قلبه غل على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية . وقال سفيان الثورى : من قدم عليا على أبى بكر وعمر فقد أزرى[٤١] وقال أبو الحسن البغوى : وهذا الهجران والتبرُّءُ والمعاداة لأهل البدع والمخالفين فى الأصول[٤٢] ، أما الاختلاف فى الفروع بين العلماء فاختلافُ رحمة ، أراد الله أن لا يكون على المؤمنين حرج فى الدين . فعلى المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئا من الأهواء والبدع معتقدا ويتهاون بشىء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه ، ويتركه حياً وميتاً ، فلا يسلم عليه إذا لقيه ، ولا يُجِّيبه إذا ناداه .

والنهى عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير فى حقوق الصحبة دون ما كان فى حق الدين ، فإن هجر أهل البدع والأهواء دائم إلى أن يتوبوا .

كلمات جوامع :

فعليك ياأخى باتباع السنة وقبولها ، وموالاة أهلها ، واجتناب البدع وردها ، ومعاداة أهلها . قال أحدهم لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه : علمنى كلمات جوامع[٤٣] موانع فقال : لا تشرك بالله شيئا ، وزل[٤٤] مع

---

(٤٠) الفتح : ٢٩ .

(٤١) (أزرى) عليه : زرى .و ــ بالشىء : تهاون به وقصّر .

(٤٢) الأصول : جمع أصل : وهو فى اللغة : عبارة عما يفتقر إليه ، ولا يفتقر هو الى غيره . وفى الشرع : عبارة عما يبنى عليه غيره ، ولا يُبنى هو على غيره ، والأصل : ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى على غيره .

(٤٣) يشترط المناطقة فى التعريف أن يكون جامعاً مانعاً يجمع كل ما يتناوله المعرَّف وينطبق عليه ويمنع غيره مما ليس منه أن يدخل فيه ، وهكذا الكلمات الجوامع تجمع كل ما هو مطلوب . ولا تعقيب عليها لمعقب .

(٤٤) زُل مع القرآن : أى تحرك معه أينما اتجه بك .

القرآن حيث زال ، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدا بغيضاً ، ومن جاءك بالباطل فرده عليه وإن كان قريباً حبيباً .

وعليك بما قال ابن عمر رحمه الله : ثلاث أحب لنفسى ولإخوانى : هذه السُّنَّة أن يتعلموها ويسألوا عنها ، والقرآن أن يتفقهوه ويسألوا عنه ، ويدعوا الناس إلى الخير . وربما قال الأوزاعى رحمه الله تعالى : خمس كان عليها أصحاب النبى ﷺ : لزومُ الجماعةِ ، واتباع السنة ، وعمارة المسجد ، وتلاوةُ القرآن ، والجهادُ فى سبيل الله عز وجل .

رزقنا الله الاتباع ، وإحياء السنن ، وجنبنا البدع والأهواء فى السرِّ والعلن .





(فصـــــل)
فى تمييز البدعة من السنة

ما هى السنة ؟

اعلم رحمك الله أن السنة(٤٥) فى اللغة الطريق ، ولا ريب فى أن أهل النقل والأثر ، المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار الصحابة ، هم أهل السنة ؛ لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث ، وإنما وقعت الحوادث . والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه .

ما هى البدعة(٤٦) ؟

والبدعة عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة ، أو توجب التعاطى عليها

---

(٤٥) السنة : فى اللغة : الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية ، والعادة .

وفى الشريعة : هى الطريقة المسلوكة فى الدين من غير افتراض وجوب ؛ فالسنة ما واظب النبى ﷺ عليها مع الترك أحيانا . فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة فسنن الهدى ، وإن كانت على سبيل العادة فسنن الزوائد .

فسنة الهدى ما يكون إقامتها تكميلا للدين ، وهى التى تتعلق بتركها كراهة او إساءة .

وسنة الزوائد ، هى التى أخذها هدى أى إقامتها حسنة ولا يتعلق بتركها كراهة ولا إساءة كسنة النبى ﷺ فى قيامه وقعوده ولباسه وأكله .

وهى مشترك بين ما صدر عن النبى ﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، وبين ما واظب النبى ﷺ عليه بلا وجوب ، وهى نوعان :

سنة هدى ، ويقال لها : السنة المؤكدة ، كالأذان والإقامة ، والسنن ، والرواتب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، على رأى ، وحكمه كالواجب ، إلا أن تاركه يعاقب ، وتاركها لا يعاقب .

وسنن الزوائد ، كأذان المنفرد ، والسواك ، والأفعال المعهودة فى الصلاة وفى خارجها ، وتاركها غير معاقب .

(٤٦) أصل هذه الكلمة من الاختراع ، وهو الشىء يحدث من غير أصل سبق ولا مثال احتذى ولا إلف مثله . وقد غلب لفظ البدعة على الحدث المكروه فى الدين مهما أطلق هذا اللفظ ، ومثله لفظ المبتدع لايكاد يستعمل إلا فى الذم .

بزيادة أو نقصان . وقد كان جمهور السلف يكرهون ذلك ، وينفرون من كل مبتدع . وإن كان جائزا حفاظاً للأصل ، وهو الاتباع ، وقد قال زيد بن ثابت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما حين قالا له (اجمع القرآن) : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ وعن عبد الله بن أبى سلمة : أن سعد بن مالك رحمه الله تعالى سمع رجلاً يقول : (لبيك ذا المعارج)[٤٧] فقال : ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ .

وعن أبى البحترى قال : أخبر رجل ابن مسعود رضى الله عنه أن قوماً يجلسون فى المسجد بعد المغرب ، فيهم رجل يقول : كبروا الله كذا ، وسبحوا الله كذا وكذا ، واحمدوه كذا وكذا . وقال عبد الله فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتنى فاخبرنى بمجلسهم . فلما جلسوا أتاه الرجل فأخبره ، فجاء عبد الله بن مسعود ، فقال : والذى لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما أو لقد فضلتم أصحاب مُحمد علماً ! فقال عمر بن عتبة : نستغفر الله ، فقال : عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً .

وعن عبد الله بن عون قال : كنا عند إبراهيم النخعى ، فجاء رجل فقال : يا أبا عمر وأنا أدعو الله أن يشفينى ، فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك فى وجهه . وذكر إبراهيم السنة ، فرغب فيها ، وذكر ما أحدث الناس فكرهه ، وقال فيه .

وجاء أصحاب الحديث إلى ذى النون ، فسألوه عن الخطرات والوساوس ، فقال : أنا لا أتكلم فى شىء من هذا ، فإن هذا محدث ، سلونى عن شىء من الصلاة او الحديث .

وقال محمد بن زياد : رأى ذو النون عَلَىَّ خفا أحمر فقال : انزع هذا يا بنى ، فإنه شُهْرَة ، مالبسه رسول الله ﷺ ، إنما لبس رسول الله ﷺ خفين

---

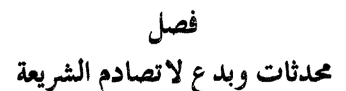
(٤٧) ذا العلو ، والفواضل ، والنِّعم الذى تعرج الملائكة والروح إليه ، وتصعد فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

أسودين ساذجين[٤٨] .

فقد تبين لك أن القوم كانوا يتحرزون عن بدعة ، وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن .



(٤٨) الساذج : مالا نقش فيه معرّب سادة بالفارسية . والساذج عند المولدين البسيط الحسن .



فصل
محدثات وبدع لا تصادم الشريعة

وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ؛ ولم تتعاط عليها ، فلم يروا بفعلها بأساً بل قال بعضهم : إنها قربة وهو صحيح كما رُوى أن الناس كانوا يصلون فى رمضان وحداناً ، وكان الرجل يصلى فيصلى بصلاته الجماعة ، فجمعهم عمر رضى الله عنه ، فلما خرج فرآهم قال : نعمت البدعة هذه ، والتى ينامون عنها أفضل من هذه ــ يعنى صلاة آخر الليل .

وكان الناس يقومون أوله . وقال الحسن : القصص[٤٩] بدعة ونعمت البدعة ؛ كم من أخ يُسْتفاد ، ودعوةٍ تستجاب .

أنواع البدع :

والحوادث تنقسم إلى : بدعة مستحسنة ، وإلى بدع مستقبحة ، قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : البدعة بدعتان : بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم . واحتج بقول عمر رضى الله عنه : نعمت البدعة هذه[٥٠] . وقال الإمام الشافعى أيضا رضى الله تعالى عنه : المحدثات فى الأمور ضربان : أحدهما ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً

---

(٤٩) كانوا يجتمعون فيقُص عليهم احدهم اخبار السابقين بقصد العبرة والوعظ .

(٥٠) أى قيام شهر رمضان ، يعنى أنها محدثة لم تكن ، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى ، وإنما كان كذلك لأن النبى ﷺ حث على قيام شهر رمضان ، وفعله فى المسجد ، واقتضى فيه بعض الصحابة ليلة بعد اخرى . ثم ترك النبى ذلك ؛ لأنه خشى أن يفرض عليهم ، فلما قبض النبى أمن ذلك ؛ اتفق الصحابة رضى الله عنهم على فعل قيام رمضان فى المسجد جماعة لما فيه من إحياء هذا الشعار الذى حث عليه الشارع ، ورغب فيه . والله أعلم .

فهذه البدعة الضلالة . والثانى : ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا فهى محدثة غير مذمومة . وقد قال عمر فى قيام شهر رمضان نعمت البدعة هذه يعنى أنها محدثة لم تكن وإذا كانت فليس فيها ردّ لما مضى وقال بعضهم : وإنما كان ذلك لأن النبى ﷺ حثّ على قيام شهر رمضان وفعله هو ﷺ ، واقتدى به بعض الصحابة ليلة بعد أخرى ، فهى مشروعة فى الأصل . وكذا قول الحسن فى القصص : نعم البدعة ؛ لان الوعظ مشروع ، ومتى استند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم .

متى تكون البدعة حسنة ؟

فالبدعة الحسنة متفق على جواز فعلها والاستحباب لها رجاء الثواب لمن حسنت نيته فيها ، وهى كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشىء ، ولا يلزم من فعله محظور شرعى ، وذلك نحو بناء المنابر ، والربط[٥١] والمدارس ، وخانات[٥٢] السبيل ، وغير ذلك من أنواع البر التى لم تعهد فى صدر الإسلام ؛ فإنه موافق لما جاءت به الشريعة من اصطناع المعروف والمعاونة على البر والتقوى . وما يُعَدّ من البدع الحسنة : التصانيف فى جميع العلوم النافعة الشرعية على اختلاف فنونها ، وتعيين قواعدها ، وتفسير الكتاب العزيز ، وجمع الأخبار النبوية ، وتفسيرها ، والكلام على الأسانيد والمتون ، وتتبع كلام العرب واستخراج علوم جمَّة منه . فذلك كله وما شاكله من علوم حسنةٍ ظاهر فائدتهُ ، معينٌ على معرفة أحكام الله ، وفهم معانى كلامه ، وسنة رسوله . وكل ذلك مأمور به لا يلزم من فعله محظور شرعى . قال أبو سليمان الخطابى رحمه الله فى شرح قوله ﷺ: « **كل مُحْدَث بدعة** »[٥٣] هذا خاص فى بعض الأمور دون بعض ، وهو كل شىء أُحدث على غير مثالٍ أصلٍ من أصول الدين ، وعلى غير مقياسه . وأمّا ما كان منها مبنياً على قواعد

---

(٥١) الربط : مفردها الرباط ، وهو ملجأ الفقراء من الصوفية . كالتكايا .

(٥٢) الخان : محل نزول المسافرين ، ويسمى الفندق ، وقد كانوا يقيمون على الطريق خانات مزودة بمياه الشرب تسمى السبيل ومثلها « سبيل أم عباس » بالقلعة وما زال موجودا وهو تحفة فنية رائعة .

(٥٣) سبق تخريجه .

الأصول ومردود إليها ، فليس ببدعة ولا ضلالة . وأما إذا كانت البدعة كالمتمم ، فقد اعتقد نقص الشريعة ، فإن كانت مضادة فهى أعظم شىء لم يكن من قبل فى الشريعة لا مستند لهم فيه .

البدعة المستقبحة :

فالبدعة المستقبحة هى ما كان مخالفاً للشريعة أو ملتزماً لمخالفتها ، وذلك منقسم الى محرم ومكروه[٥٤] ، ويختلف ذلك باختلاف الوقائع ، وبحسب ما به مخالفة الشريعة تارة ينتهى ذلك إلى ما يوجب التحريم ، وتارة لا يتجاوز كراهة التنزيه . وكل فقيه موفق يتمكن بعون الله من التمييز بين القسمين مهما رسخت قدمه فى إيمانه وعلمه .

أقسام البدع المستقبحة :

وهذه البدعة المستقبحة تنقسم الى قسمين :

أحدهما : فى العقائد المؤدية الى الضلال والخسران ، مثلها الاعتراض على ما أحدثه أهل الضلال والظلمة .

وأهل الفرق الضالة ست ، وقد انقسمت كل فرقة منها اثنى عشر فرقة ، فذلك اثنتان وسبعون فرقة ، هم الذين أخبر النبى ﷺ أنهم فى النار[٥٥] ، ولسنا نحن هنا بصدد بيانها ، ولكن من لزم السنة والجماعة وأعرض عن أصول هذه البدع وفروعها كان فى الفرقة الناجية بفضل الله تعالى .

القسم الثانى : فى الأفعال من البدع المحدثة المستقبحة : وهو المراد من هذا الباب ، وينقسم قسمين :

---

(٥٤) المحرم : هو ما طلب الشارع الكف عن فعله على وجه الحتم واللزوم . أما المكروه : فهو عند جمهور الفقهاء ما طلب الشارع الكف عنه طلباً غير ملزم بأن كان منهياً عنه . والمكروه عندهم لا يذم فاعله ، ويمدح تاركه .

(٥٥) أخرجه ابو داود فى كتاب السنة ، والترمذى فى الإيمان ، وابن ماجه فى الفتن ، وأحمد فى المسند :

قسم تعرف العامة والخاصة أنه بدعة محدثة ، إما محرمة ، وإما مكروهة .

وقسم : يظنه معظمهم عبادات ، وقربات ، وطاعات وسنبينها :

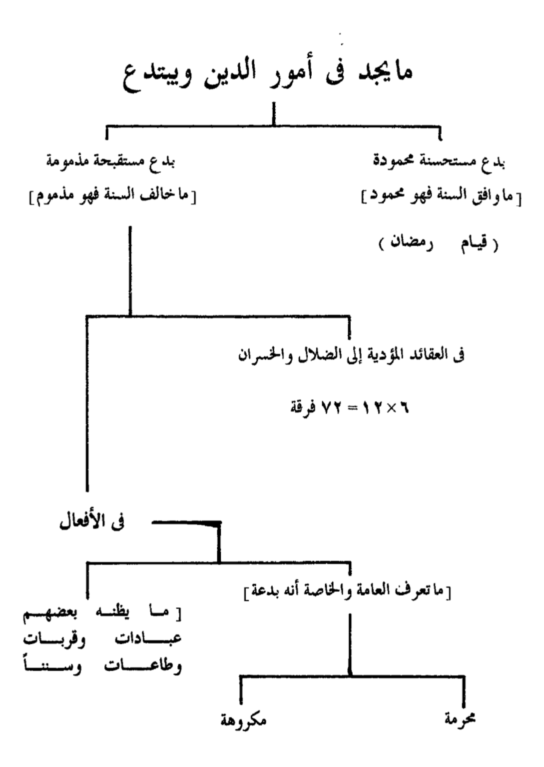
الخلوة بالنساء الأجنبيات ومصاحبتهن من البدع التى يمكن أن تؤدى إلى الهلاك :

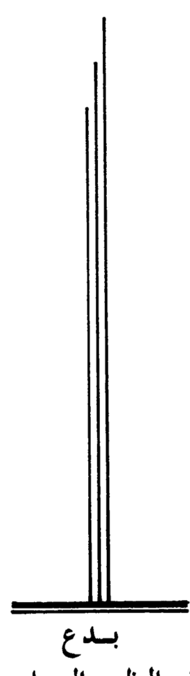
فمن القسم الأول ما قد وقع فيه طائفة من جهال العوام المنابذين لشريعة الإسلام ، التاركين الاقتداء بأئمة الدين . وهو ما يفعله طائفة من المنتمين إلى الفقر ، الذى حقيقته الافتقار من الايمان ، من مؤاخاة النسوان الأجانب والخلوة بهن[٥٦] . وهذا حرام باتفاق المسلمين ، ومستحل هذا كافر ، وفاعله على طريق التهاون به عاص ، ضال ، مضل ، مارق[٥٧] من الدين ، ومفارق لجماعة المسلمين ، أبعد الله فاعله ؛ فإن النظر إلى النساء الأجانب ، والخلوة بهن ، وسماع كلامهن ، حرام على كل بالغ ما خلا ذى الرحم المحرم بالكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة . وليس هذا موضع استقصاء الدليل عليه ، وإنما المراد تبيين الدليل والبدع والتحذير منها ، وليس هذا يخفى على مسلم .



(٥٦) أختلاط الرجال بالنساء مظهر مجافٍ للروح الإسلامية التى تحذر من اختلاط الجنسين على النحو الشائع فى أيامنا هذه ومن التساهل فى الكلام والمجالسة بين الجنسين والإفراط فى الحديث غير المحتشم والتداخل بلا خجل مما يترتب عليه فتن وأضرار اجتماعية يمكن أن تؤدى بنا إلى أسوأ النتائج كما أن الاختلاط على هذا النحو يمكن أن يكون باباً من أبواب الشيطان ومدخلاً وطريقا إلى الزنا ، عافانا الله جميعا .. وقد حذرنا رسول الله ﷺ من الدخول على النساء فقال : « **إياكم والدخول على النساء** » متفق عليه .

(٥٧) مرق من الدين : خرج منه بضلالة أو بدعة .


مايجد فى أمور الدين ويبتدع
بدع مستحسنة محمودة
[ما وافق السنة فهو محمود]
(قيام رمضان)
بدع مستقبحة مذمومة
[ما خالف السنة فهو مذموم]
فى العقائد المؤدية إلى الضلال والخسران
٦ × ١٢ = ٧٢ فرقة
فى الأفعال
[ما تعرف العامة والخاصة أنه بدعة]
محرمة
مكروهة
[ما يظنه بعضهم عبادات وقربات وطاعات وسنناً



بـدع
المعاشرة والنظر والسماع والرقص

فصل

معاشرة الأحداث والنظر إلى الغلمان من البدع المهلكة

ومن ذلك معاشرة الأحداث . وقد كان السلف يبالغون فى الإعراض عن المُرْد .. وصحبة الأحداث أقوى حبائل الشيطان ، قال أبو بكر الرازى ؛ قال أبو يوسف بن الحسين : نظرت فى آفات الخلق ، فعرفت من أين أتت ، ورأيت أنه من صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد . وقال أبو عبد الله الجلا : كنت واقفاً أنظر إلى غلام نصرانى حسن الوجه ، كأنما أفرغ فى قالب الجمال ، فمر بى أبو عبد الله ، فقال : إيش[٥٨] وقوفك هنا ؟ فقلت : ياعم ترى هذه الصورة تعذب فى النار مع ما أعطيت من الحسن والجمال ؟ فضرب بيده على كتفى ، وقال لتجدن غبَّها[٥٩] ولو بعد حين . قال : فوجدت غبَّها بعد أربعين سنة ، أُنسيت القرآن ، وعن أبى الأديان ، قال : كنت مع أستاذى أبى بكر الدقاق ، فمر بى حدث ، فنظرت إليه فرآنى أنظر إليه ، فقال : لتجدن غِبَّ هذه النظرة ولو بعد حين . فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى ذلك فما أجد ذلك الغِبّ ؛ فنمت ليلة وأنا مفكر فيما قال لى الأستاذ ، فأصبحت وأنا قد أنسيت القرآن . هذه عقوبة للمتهاونين بذلك فى الدنيا والآخرة أدهى وأمر .

وأما أصحاب الحزم والعزم فبالغوا فى الإعراض عنهم ، كان سفيان الثورى لا يدع أمرد يجيء له يجالسه . وقال يحيى بن معين : ما طمع أمرد بصحبتى .

---

(٥٨) إيش : لأى شىء ؟ .

(٥٩) (الغِبُّ) من كل شىء : عاقبته وآخره والمراد أن ما وقعت فيه من النظر إلى الأمرد ستلاحقك مغبته وعاقبته إن آجلا أو عاجلا .

وكذلك الإمام أحمد ، ودخل سفيان الحمام ، فدخل عليه غلام حسن الوجه ، فقال : (**أخرجوه أخرجوه فإنى أرى مع كل امرأة شيطاناً ، ومع كل صبيح بضعة عشر شيطاناً**) . وقال محمد بن أحمد : دخلنا على محمد بن الحسين ، وكان يقال عنه : إنه ما رفع رأسه إلى السماء منذ أربعين سنة ، ومعنا غلام حسن ، فجلس بين يديه ، فقال : قم من حذائى . وأجلسه من خلفه .

واعلم يا أخى أن كل من فاته العلم تخبط ؛ فإن حصل له العلم وفاته العمل كان أشد تخبطاً . ومن استعمل أدب الشرع مثل قوله تعالى : ﴿**قُلْ للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾[٦٠] الآية ، فمتى غض بصره فى البداية سلم مما يصعب أمره فى النهاية ؛ فقد ورد النهى عن مجالسة المردان . وأوصى العلماء بذلك ، فلا يغتر مُغْتَرٍ فيكون العطف عليه أسرع ، والهلاك أقرب من حاجبيه[٦١] إلى عينيه . وليس هذا موضع استقصاء ما ورد فى ذلك من النهى والزجر ، ولو استقصينا ما ورد فى ذلك لطال الكلام ، وإنما المراد بيان ما أحدث من البدع والضلال .



---

(٦٠) النور : ٣٠ .

(٦١) كناية عن قرب وقوعه .



فصل
السماع والرقص والوجد[٦٢] تسقط المروءة

ومن ذلك ما أحدث من السماع والرقص والوجد . وفاعل ذلك ساقط المروءة ، مردود الشهادة ، عاصٍ لله ولرسوله .

وهو محظور قال الله عز وجل : **﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾**[٦٣] .

قال ابن مسعود : واللهو هنا : الغناء .

وكذلك قال عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وإبراهيم .

وقال تعالى : **﴿وأنتم سامدون﴾**[٦٤] .

قال ابن عباس : هو الغناء .

وكذلك قال مجاهد : يقول أهل اليمن : سمد فلان إذا غنىَّ .

وقال تعالى : **﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾**[٦٥] .

قال مجاهد : هو الغناء والمزامير .

وعن نافع ، قال : كنت مع ابن عمر فى طريق ، فسمع زمارة راعٍ فوضع أصبعيه فى أذنيه ، وعدل عن الطريق ، وقال : رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راعٍ فصنع كذلك ياأخى [٦٦] .

---

(٦٢) الوجد : ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع ، وقيل : هو بروق تلمع ، ثم تخمد سريعاً .

(٦٣) لقمان : ٦ .

(٦٤) النجم : ٦١ .

(٦٥) الاسراء : ٦٤ .

(٦٦) أخرجه أبو داود وقال : هذا حديث منكر .

فإذا كان هذا فعلهم فى حق صوت ليس بمطرب يخرج مستمعه عن حد الاعتدال ، فكيف بسماع صوت أهل هذا الزمان ومزمرتهم ؟

وقد نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات وعن بيعهن ، وقال : « ثمنهن حرام »(٦٧) . والأحاديث والآثار فى ذلك كثيرة ، وليس هذا موضع استقصاء ما ورد فى ذلك .

واعلم وفقك الله لطاعته أن الأشعار التى ينشدها المغنون اليوم يصفون فيها المستحسنات ، والخمر ، والقَدّ ، والعين ، وغير ذلك(٦٨) ، مما يحرك الطباع ، ويخرجها عن الاعتدال ، ويثير كامنها من حيث اللهو ، وهو حرام . قال الطبرى رحمه الله : أجمع علماء الأنصار على كراهة الغناء ، والمنع منه . وهذا منعهم منه مع أنه كان فى زمانهم منه ما يتعلق بالزهديات المليحة(٦٩) ، فكيف لو رأوا ما أحدثوا فى هذا الزمان فيه من الزيادات القبيحة . فاحذره يا أخى ، واقتد بالسلف الصالح . فقد قال ابن عباس رضى الله عنه : الغناء يُنْبتُ النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل .

وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء فقال : أنهاك عنه ، وأكرهه لك . فقال : حرام هو ؟ فقال : يا أخى إذا ميز الله الحقَّ من الباطل فى أيهما تجعل الغناء ؟

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده : ليكن أول ما يعتقدون من أدبك . بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغانى

---

(٦٧) أخرجه الحكيم الترمذى فى « المنهيات » بتحقيق الخشت ، ص ١١٣ .

(٦٨) القَدُّ : القامة فيصفونها وغيرها من أعضاء الجسم مما يدخل فى دائرة الوصف الحِسِّى أو الغزل الجنسى الذى يثير الغرائز والفتنة نائمة ، فلعن الله من أيقظها !

(٦٩) (مَلُحَ) الشىء ملاحة : بهج وحسنُ منظره . فهو مليح . الجمع : مِلاحٌ . وهو أيضاً مُلاَحٌ ، ومُلاَّحٌ . ويقصد بالمليحة المقبولة التى لا تؤذى المشاعر ولا تنفر الطباع السليمة ، ولا تثير الغرائز ، بل تدفع الى التزهيد فى الدنيا والرغبة عنها .

واللهج[٧٠] بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب الماء . ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضور المواطن فى قلبه .

وقال الفضيل بن عياض : الغناء رقية الزنا . وقال الضحاك : الغناء مفسدة للقلب ، ومسخطة للرب .

وقال يزيد بن الوليد : يابنى أمية ، إياكم والغناء ، فإنه يزيد الشهوة ، ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعل السكرة .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : الغناء ينبت النفاق فى القلب . وسئل عن استماع القصائد ، فقال : أكرهه ، هو بدعة ، ولايجالسون . وقال : التغبير[٧١] بدعة محدثة ، وقال إسحق بن عيسى : سألت مالك بن أنس عما يترخص فيه أهل المدينة فى الغناء ، فقال : إنما يفعله عندنا الفساق .

وقال الطبرى رحمه الله : أما مالك فإنه نهى عن الغناء ، وعن استماعه ، وقال : إذا اشترى الرجل جارية ، فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب .

وكان أبو حنيفه رضى الله عنه يكره الغناء ، ويجعل سماع الغناء من الذنوب .

وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة ، مثل : ابراهيم النخعى ، والشعبى ، وحماد ، وسفيان ، وغيرهم . قال : ولا يعرف لهم مخالف فى كراهة ذلك والمنع منه .

وقال الشافعى رضى الله عنه : خلفت بالعراق شيئا أحدثه الزنادقة يسمى التغبير يشغلون به الناس عن القرآن . وقال : الغناء هو مكروه يشبه الباطل .

وقد كان أصحاب الشافعى ينكرون السماع .

---

(٧٠) (لَهِجَ) بالأمر ــ لَهَجاً : أُولع به فثابر عليه واعتاده . فهو لَهِجٌ ، ولاهجٌ . ويقصد الانشغال والتعلق بها .

(٧١) المُغَبِّرةُ : قوم يُغبّرون بذكر الله (أى يهللون ويرددون الصوت بالقراءة وغيرها) . سموا بذلك ؛ لأنهم يرغبون الناس فى الغابرة . أى الباقية . وعملهم هذا هو التغبير . ومثلهم : فرق الانشاد الدينى والتواشيح ، وانشاد الموالد مما يشغل عن القرآن .

هذا قول العلماء فيه ، وكراهيتهم له ، مع تجريده عن غيره من المحرمات من حضور النساء ، والمردان ، والدفوف[٧٢] ، والشبابات[٧٣] ، وغير ذلك من أنواع المنكرات . قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله : وكم فتنت الأصوات بالغناء من زاهد وعابد ، قال : وقد ذكرنا جملة من اخبارهم فى كتابنا المسمى بـ (ذم الهوى) ، فمن أراد أن يعرف فتنته وعاقبة أمره ، فليقف عليه ، ولينظر ما تم على غيره ، فيبغى للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه ، ويحذرهم مكائد الشيطان ، ولولا خوف الإطالة لا ستقصينا ما ورد فى ذلك ، ولكن العاقل الفطن الموفق من قبل نصح الناصح بأخصر عبارة وعرف الحق واتبعه بأدنى إشارة .

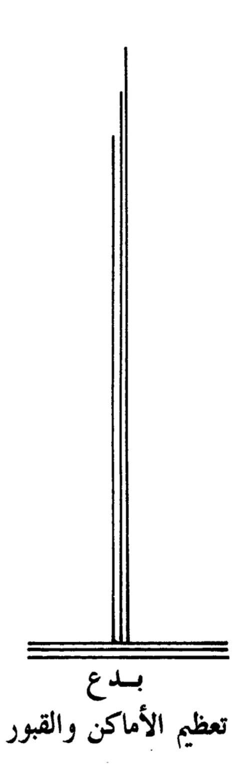


---

(٧٢) الدفوف : جمع دف : من الآلات ذات الرق ، وهي التى يكون النقر فيها على جلد رقيق مشدود على الإطار أو الصندوق الصوتى ، ويكون النقر على هذه الآلات إما باليد أو بواسطة المضارب .. وجسم هذه الآلات إما أن يكون إطاراً كما هو الحال فى الدفوف والطبول ، أو اسطوانة مثل بعض أنواع الطبول والدربكة أو بشكل كأس .. وتختلف الدفوف من حيث الشكل والحجم فمنها المستدير والمربع ومن المستدير ما يحمل فى إطاره حلقات صغيرة من الحديد عوضا عن الصنوج النحاسية فتستعمل فى الأذكار والمناسبات الدينية .

(٧٣) جمع شَبَّابَة وهى : نوع من المزمار (مُوَلَّدة) . قال فى كتاب كشف الهموم والكرب فى شرح آلة الطرب : والشبابة نوعان : قديم ومحدث ، فالقديم : هو شبابة العرب ، وهى قطعة واحدة بغير وصلة يسمونها « المنجاره » هكذا سمتها الجاهلية .

ومنها خرج الموصول ، وهو قطعتان بدون وصلة ؛ فذلك سمى موصول ، وفيها سبعة أنجاش يخرج منها النفس بالقسمة الموزونة تتفرع منها أحكاما منغومة فيها جميع الطرب ، وهى مركبة على أحكام الكواكب السبعة السيارة وقسمة مخرج الأنغام مشتقة منها ، فإذا قسمت السبعة المضروبة فى أربعة يخص كل قسم منها مركب أربعة فيكون النفس الخارج من كل نجش منها مركب على القواعد الأربعة التى فى جسد الإنسان وهى التى تركب عليها جميع أعضائه كلها فيوافق ضربه ضرب الأعضاء التى فى جسد بنى آدم المحركة للطرب . ﴿ من المخطوطات العربية فى الموسيقى — دراسة وتعريف ظمياء محمد السبع — قسم المخطوطات بغداد ﴾ .



بــدع
تعظيم الأماكن والقبور

فصل

تعظيم الأماكن التى لا تستحق التعظيم

ومن البدع أيضاً : ما قد عم الابتلاء به تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد بالزعفران المجبول بماء الورد ، وإسراج مواضع مخصوصة فى كل بلد بما لُبس عليهم ، فيفعلون ذلك ، ويظنون أنهم متقربون بذلك ؛ ثم يتجاوزون فى ذلك إلى تعظيم تلك الأماكن فى قلوبهم ؛ فيعظمونها ، ويرجون الشفاء ، وقضاء الحوائج بالنذر لها ، وتلك الأماكن من بين عيون وشجر وحائط وطاقة وعامود وما أشبه ذلك بذات أنواط(٧٤) الواردة فى الحديث الذى رواه الترمذى وصححه ، عن أبى واقد الليثى .

قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ، وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون عليها أسلحتهم ، ويعلفون عندها ، ويذبحون لها . وفى رواية أخرى : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين ، ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سدرة(٧٥) يعكفون عليها ، وينيطون(٧٦) بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا « ذات أنواط » كما لهم « ذات أنواط » فقال رسول الله ﷺ : **«سبحان الله الله أكبر !! » كما قال قوم موسى لموسى : ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم الهة﴾**(٧٧) قال : **«والذى نفسى بيده لتركبُن سنة من كان قبلكم»**(٧٨) فأنكر النبى ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار .

---

(٧٤) هى شجرة سيوضح الحديث موقفهم منها يوم حنين .

(٧٥) سِدْرة : جمعها (السِّدْر) ، وهو شجر النبق . وسدرة المنتهى : عندها جنة المأوى .

(٧٦) ينيطون : أى يعلقون .

(٧٧) الأعراف : ١٣٨ .

(٧٨) انظر صحيح الترمذى كتاب الفتن باب ١٨ . كما أخرجه أحمد فى المسند بنحوه الجزء الخامس ص ٢١٨ .

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي : فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سِدْرَةً ، أو شجرةً ، أو عاموداً ، أو حائطاً ، أو طاقة ، أو حجراً ؛ يقصدها الناس ، ويعظمون من شأنها ، ويرجون عندها البُرء والشفاء من قبلها ، وينوطون بها الخِرَق[79] ، ويوقدون عندها شمعاً ، أو سراجاً ، أو ينذرون[80] بها زيتاً ، أو غيره ، فهى ذات أنواط . فاقطعوها ، واقلعوها ، وقوله (ينوطون) أى يعلقون وهذا أمر منكر قبيح ؛ فإن هذا يشبه عبادة الأوثان وهو ذريعة[81] اليها ، ونوع من عبادة الأوثان ؛ إذ عبدة الأوثان كانوا يقصدون بقعة بعينها لتمثال هناك أو غير تمثال يرجون الخير بقصدها . ولم تستحب الشريعة ذلك ، فهو من المنكرات ، وبعضه أشد من بعض . وسواء قصدها ليصلى عندها ، أو ليدعو أو ليقرأ ، أو ليذكر الله ، أو ليذبح عندها ذبيحة ، أو يخصها بنوع من العبادات .

بدع النذور :

وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهناً لتنويرها أو شمعاً ، ويقول : إنها تقبل النذر ، كما يقول بعض الضالين ، أو ينذر ذلك لقبر ، أى قبر كان ، فإن هذا نذر معصية باتفاق العلماء ، لا يجوز الوفاء به ، بل عليه كفارة يمين عند كثير من العلماء ، منهم أحمد وغيره ، وكذلك إذا نذر خبزاً وغيره للحيتان أو لعين أو لبئر ، وكذلك إذا نذر مالاً مّا : دراهم ، أو ذهباً ، أو بقراً ، أو جملاً ، أو معزاً للمجاورين عند القبور ، أو عند هذه الأماكن المنذور لها ، ويسمون السدنة[82] فهذا أيضا نذر معصية ، وفيه شبهة من النذر لسدنة الأصنام .

---

(٧٩) ينوطون : يعلقون ويربطون بعض قطع القماش .
(٨٠) زيتا : لإضاءة المصابيح ، وما أشبه ذلك من الشموع .
(٨١) الذَّريعَةُ : الوسيلة والسبب إلى الشيء . والجمع : ذرائع .
(٨٢) السَدَنَة : مفردها (سَادِن) ، وهو خادم المكان المتعبد فيه . وتطلق على خادم الكعبة .

قبور وهمية :

فمن هذه الاماكن ما يظن أنه قبر نبى أو رجل صالح ، أو يظن أنه مقام ، وليس كذلك ، فمن هذه الأماكن : عدة أماكن بدمشق ، مثل ما يزعمون عن قبر أبى بن كعب أنه خارج باب الشرقى ، ولا يعرف بين أهل العلم أن أبى بن كعب إنما توفى بالمدينة ولم يمت بدمشق ، والله أعلم قبر من هو . وكذلك مكان بالحائط القبلى بالجامع ، ويقولون : إنه قبر هود عليه السلام . فلم يذكر أحد من أهل العلم أن هوداً عليه الصلاة والسلام مات بدمشق ، بل قيل : إنه مات باليمن ، وقيل : بمكة ، وكذلك قبر بباب حيرون ، يقال : إنه قبر بعض أهل البيت ، وليس بصحيح ، بل هذا باب قديم قيل : بناه سليمان عليه السلام ، وقيل ذو القرنين ، وقيل غير ذلك . وإنما ذكر لهم بعضهم من لا يوثق به فى شهور سنة ست وثلاثين وستمائة أنه رأى مناماً يقتضى أن ذلك المكان دفن فيه بعض أهل البيت ، قال الشيخ شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المعروف بأبى شامة الشافعى رحمه الله(٨٣) : وقد أخبرنى عنه ثقة أنه اعترف أنه افتعل ذلك ، فقطعوا طريق المارة ، وجعلوا الباب بكماله مسجدا مغصوباً .

وقد كان الطريق يضيق بسالكيه ، فضاعف الله نكال من تسبب بذلك فى بنائه ، واجزل ثواب من أعان على هدمه اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ فى هدم مسجد الضرار المرصد لأعدائه من الكفار . فلم ينظر الشرع إلى كونه مسجداً ، وهدمه لما قصد به من السوء والضرار .

وكذلك مسجد خارج باب الجابية ، يقال له : مسجد أويس القرنى ، ولم يذكر أحد أن أويساً مات بدمشق ، ومن ذلك قبر باب الصغير ، يقال : إنه قبر أم سلمة زوجة النبى ﷺ . ولا خلاف أن أم سلمة رضى الله عنها ماتت

(٨٣) وذلك فى كتابه « الباعث على إنكار البدع والحوادث » وأبو شامة مؤرخ ، ومحدث ، وباحث . أصله من القدس ، ومولده فى دمشق ، وبها منشؤه ووفاته . ولى بها مشيخة دار الحديث الأشرفية ولقب أبا شامة ، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر . من كتبه « ذيل الروضتين » سماه ناشره « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » ، و « إبراز المعانى » فى شرح الشاطبية . مولده ووفاته (٥٩٩ — ٦٦٥ هـ = ١٢٠٢ — ١٢٦٧) .

بالمدينة . ومن ذلك مشهد بقاهرة مصر يقال : إن فيه رأس الحسين رضي الله عنه ، وأصله أنه كان له بعسقلان مشهد ، يقال باتفاق العلماء ــ لم يخالف أحد منهم : إن رأس الحسين كان بعسقلان ، بل فيه أقوال ليس هذا مكانها(٨٤) .

وكذلك مقابر كثيرة لأسماء رجال معروفين ، قد علم أنها ليست مقابرهم ، فهذه المواضع ليست فيها فضيلة أصلاً .

أوهام وأباطيل :

ومن ذلك مواضع يقال إن فيها أثر النبى ﷺ أو غيره ، كما يقوله الجهلة فى الصخرة التى ببيت المقدس إن فيها أثراً من وطء النبى ﷺ . وفى مسجد قبل دمشق يسمى القدم يقال : إن فيه أثر قدم موسى ﷺ . وهذا باطل لا أصل له ، ولم يقدم موسى ﷺ دمشق ، ولا ما حولها ، وكذلك مساجد تضاف الى بعض الأنبياء والصالحين تم بناؤها على أنه رؤى فى المنام هناك ، ورؤية النبى ﷺ أو الرجل الصالح فى المنام ببقعة لايُوجب لها فضيلة ، تقصد لأجلها وتتخذ مصلى مكروه ، وإنما يفعل ذلك وأمثاله أهل الكتاب . وهذه الأمكنة كثيرة موجودة فى أكثر البلاد ، فهذه البقاع لا يعتقد لها خصيصة كائنة ما كانت ، فإن تعظيم مكان لم يعظمه الله شر مكان ، وهذه المشاهد الباطلة إنما وضعت مضاهاة لبيوت الله ، وتعظيماً لما لم يعظمه الله ، وعكوفاً على أشياء لم تنفع ولم تضر ، وصداً للخلق عن سبيل الله ، وهى عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسول الله ﷺ واتخاذها عيداً هو الاجتماع عندها ، واعتياد قصدها ، فإن العيد من المعاودة . وقد يحكى عندها من الحكايات التى فيها تأثير مثل أن رجلا دعا عندها فاستجيب ، أو نذر لها فقضيت حاجته ، أو نحو ذلك . وبمثل هذه الأمور كانت تعبد الأصنام ، وبمثل هذه الشبهات حدث الشرك فى الأرض .

---

(٨٤) للإمام ابن تيمية بحث طريف فى هذا الموضوع ، وذلك فى كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم » . حيث ذكر الأدلة والبراهين التى تثبت عدم وجود رأس الحسين فى مصر .

كراهية النذر :

وقد صح عن النبى ﷺ أنه نهى عن النذر[٨٥] ، وقال : «**إنه لا يأتى بخير وإنما يستخرج به من البخيل**»[٨٦] فإذا كان نذر الطاعات المعلقة بشرط لا فائدة فيه ، ولا يأتى بخير ، فما الظن بالنذر لما لا يضر ولا ينفع .

دفع شبهة :

وأما إجابة الدعاء هناك فقد يكون سببه اضطرار الداعى ، وقد يكون سببه مجرد رحمة الله له ، وقد يكون سببه أمراً قضاه الله عز وجل لا لأجل دعائه ، وقد يكون له أسباب أخرى . وإن كانت فتنة فى حق الداعى ، وقد كان الكفار يدعون ، فيستجاب لهم ، فيُسْقَوْن وُينْصَرُون ويُعافُون مع دعائهم عند أوثانهم وتوسلهم بها . وقد قال تعالى : ﴿**كُلًّا نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً**﴾[٨٧] .

وأسباب المقدورات فيها أمور يطول تعدادها ، وإنما على الخلق اتباع ما بعث الله به المرسلين ، والعلم بأن فيه خير الدنيا والآخرة ، .

النهى عن الصلاة فى القبور واتخاذها عيداً :

ومن هذه الأمكنة ما له خصيصة لكن لا تقتضى اتخاذها عيداً ، ولا الصلاة عندها ، ونحْوها من العبادات كالدعاء عندها . فمن هذه الأمكنة قبور الأنبياء والصالحين . وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا علىّ ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم**»[٨٨] وعن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه رأى رجلاً يجىء

(٨٥) أخرجه البخارى فى القدر والأيمان ، ومسلم فى النذر ، والنسائى فى الأيمان ، وابن ماجه فى الكفارات ، وأحمد فى المسند .

(٨٦) أخرجه النسائى فى الأيمان بباب النهى عن النذر ، الجزء السابع ، ص ١٥ — ١٦ .

(٨٧) الإسراء : ٢٠ .

(٨٨) أخرجه الحكيم الترمذى ، عن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده . جمع الجوامع : الأول ، ص ٨٨١ .

الى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ فيدخل فيها ويدعو ، فقال : ألا أحدثك حديثا ، عن أبى ، عن جدى ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لا تتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علىّ ؛ فإن صلاتكم علىّ تبلغنى حيث كنتم**» أخرجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقرى فيما اختاره من الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين ، وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم فى صحيحه ، وروى سعيد فى سننه عن أبى سعيد مولى المهدى قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تتخذوا بيتى عيداً**[٨٩] ، **ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علىّ حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغنى**[٩٠]» .

وروى أيضاً عن سهل بن أبى سهيل ، قال : رآنى الحسين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه عند القبر ، فنادانى وهو فى مبيت فاطمة يتعشى ، فقال : هلمَّ إلى العشاء ، فقلت : سلمت على النبى ﷺ ، فقال : إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ قال : «**لا تتخذوا قبرى عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ؛ لعن الله**[٩١] **اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علىَّ – فإن صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم**» .

وجه الدلالة : أن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض ، وقد نهى ﷺ عن اتخاذه عيداً من المعاودة إليه ، فقبر غيره اولى بالنهى كائنا من كان ، ثم إنه قرن ذلك بقوله : «**ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً**» ، أى لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة ، فتكون بمنزلة القبور ، عكس ما يفعله المشركون من النصارى فى التشبه بهم .

ثم انه ﷺ عقب النهى عن اتخاذه عيداً بقوله : «**وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم**» ، يشير بذلك ﷺ إلى أن ما ينالنى منكم من الصلاة والسلام يصل مع قربكم من قبرى وبعدكم منه ، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه

---

(٨٩) أخرجه أيضا أبو داود وغيره .

(٩٠) أى يعودون إليه ، ويترددون عليه ، وهذا ما يعطيه معنى العيد ، فيقال : العَوْدُ أحمد ، ويقولون : عيدٌ بأيةِ حالٍ عُدْتَ ياعيدُ ؟! ، فالمراد بالعيد : المعَاوَدَة .

(٩١) اللعن من الله : هو إبعاد العبد بسخطه ، ومن الانسان : الدعاء بسخطه .

عيداً ، ثم إن أفضل التابعين من أهل البيت علي بن الحسين نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ ، وبين أن قصده للدعاء ونحوه ، اتخاذه عيداً ، وكذلك ابن عمه حسين بن الحسين شيخ أهل بيته كره أن يقصد قبره الرجل للسلام عليه ونحوه ، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيداً .

فانظر هذه السنة[٩٢] ، كيف يخرجها أهل بيته ، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار ؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم ، فكانوا له أضبط .

آداب زيارة القبور :

والذى يستحب للرجل الزائر للقبور أن يتذكر بزيارته الآخرة ، وأن يسلم عليهم ، ويدعوَ لهم بالمأثور من الدعاء الذى كان يعلم النبى ﷺ أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا قبالتهم : **«السلام عليكم أهل الديار ، من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، فنسأل الله لنا ولكم العافية أنتم لنا سلف ونحن بالأثر»**[٩٣] . وإن قرأ شيئا من القرآن وأهداه إليهم فهو حسن .

وما سوى ذلك من المحدثات ، كالصلاة عندها ، واتخاذها مساجد ، وبناء المساجد عليها ؛ فقد تواترت النصوص[٩٤] عن النبى ﷺ بالنهى عن ذلك ، والتغليظ على فاعله .

النهى عن بناء المساجد على القبور :

فأما بناء المساجد عليها ، وإشعال القناديل والشموع أو السُّرُج[٩٥]

---

(٩٢) وهى الصلاة عليه ﷺ ، فإنها تصل إليه ﷺ على القرب والبعد ، ألا ترى أنه امتثالا للنهى عن اتخاذ قبره عيداً كره أهل بيته أن يقصد القبر بسلام أو دعاء .

(٩٣) رواه الترمذى وحسنه ، والأثر بفتحتين وروى بكسر فسكون : أى على عقبكم .

(٩٤) تواترت : رواها جمع عن جمع يُؤمن تواطؤهم على الكذب ومن الحديث المتواتر ما أوحى الله إليه ﷺ من إظهار المعجزة على يديه .

(٩٥) جمع سراج ، وهو كل ما يستعان به على الرؤية وإزالة الظلمة من المصابيح وغيرها .

عندها ، فقد لعن فاعله ، كما جاء عن النبى ﷺ ، قال : «**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**» . حديث حسن[96] ، وقد تقدم . وصرح عامة علماء الطوائف بالنهى عن ذلك متابعة للأحاديث الواردة فى النهى عن ذلك . ولا ريب فى القطع بتحريمه لما بينت فى صحيح مسلم عن جندب ابن عبد الله البجلى رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول : «**إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد . إنى أنهاكم عن ذلك**» .

وفى الصحيحين عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهما ، قال : لما نزل رسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة[97] له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : «**لعنة الله على اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا .

وفى الصحيحين أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ ، قال : «**قاتل الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» .

وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه : «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قالت : ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً ، متفق عليه .

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «**إن**

---

(٩٦) الحديث الحسن : لغة هو صفة مشبهة من « الحسن » بمعنى الجمال . اصطلاحاً : اختلف العلماء فى تعريفه نظراً لأنه متوسط بين الصحيح والضعيف . ويمكن تعريف الحسن بناء على ما عرفه به ابن حجر بما يلى : « هو ما اتصل سنده بنقل العدل الذى خف ضبطه عن مثله الى منتهاه من غير شذوذ ولا علة » ، وهو كالصحيح فى الاحتجاج به ، وإن كان دونه فى القوة ، لذلك احتج به جميع الفقهاء ، وعملوا به ، وعلى الاحتجاج به معظم المحدثين والأصوليين ، إلا من شذ من المتشددين .

(٩٧) الخميصة : ثوب أسود مربع له علمان .

من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد »(٩٨) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : « **لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرج** » . رواه الإمام أحمد وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى .

حكم المساجد المبنية على القبور :

وفى الباب أحاديث كثيرة وآثار ، فهذه المساجد المبنية على القبور يتعين إزالتها ، هذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المعروفين ، وتكره الصلاة فيها من غير خلاف ، ولا تصح عن الإمام أحمد فى ظاهر مذهبه ، لأجل النهى واللعن الوارد فى ذلك .

بدع أخرى تتعلق بالقبور :

وكذلك إيقاد المصابيح كالسرج والشمع والقناديل فى هذه المشاهد والتُرب(٩٩) ، فلا خلاف للنهى الوارد فى ذلك ، وفاعله ملعون على لسان رسول الله ﷺ ؛ حيث قال : «**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُرُج**» .

ولا يجوز الوفاء بما نذر من زيت وشمع وغير ذلك ، بل موجبه موجب نذر المعصية . وكذلك الصلاة عندها مكروهة وإن لم يبن عليها مسجد ، فإن كل موضع يصلى فيه فهو مسجد وإن لم يكن هنا بناء ، والنبى ﷺ قد نهى عن ذلك بقوله : «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها**»(١٠٠) وقال : «**اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها**

---

(٩٨) رواه أحمد عن أبى عبيدة بن الجراح بلفظ كان آخر ما تكلم به نبى الله ـ ﷺ ـ « **أن أخرجوا يهود الحجاز من جزيرة العرب ، واعلموا أن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد** » . الجزء الأول ص ١٩٥ .

(٩٩) جمع تُربة وهى القبر ، وما يضم رفات الميت .

(١٠٠) أخرجه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ؛ عن واثلة بن الأسقع عن أبى مرثد الغنوى .

قبوراً »(١٠١) يعنى كما أن القبور لا يصلى فيها فلا تجعلوا بيوتكم كذلك . ولا تصح الصلاة بين القبور فى مذهب الإمام أحمد وتكره عند غيره .

أصل عبادة الأوثان :

واعلم أن من الفقهاء من اعتقد أن سبب الكراهة فى الصلاة فى المقبرة ليس إلا لكونها مظنة النجاسة ، ونجاسة الأرض مانع من الصلاة عليها ، سواء كانت مقبرة أو لم تكن . وليس ذلك كل المقصود بالنهى ، وانما المقصود الأكبر بالنهى إنما هو مظنة اتخاذها أوثاناً ، كما ورد عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه قال : وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه من بعده من الناس . وقد نص النبى ﷺ على العلة بقوله : « **اللهم لاتجعل قبرى وثناً يعبد** »(١٠٢) ويقول : « **إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد ، ولا تجلسوا عليها** » الحديث المتقدم . وأخبر ﷺ أن الكفار « **كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شر الخلق عند الله يوم القيامة** »(١٠٣) فجمع ﷺ بين التماثيل وبين القبور . وأيضا فإن اللّات كان سبب عبادتها تعظيم قبر رجل صالح كان هناك -يلت(١٠٤) السويق(١٠٥) بالسمن ويطعمه

---

(١٠١) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة باب كراهية الصلاة والقبور

(١٠٢) أخرجه مالك فى السفر ، وأحمد بن حنبل فى المسند الجزء الثانى ص ٢٤٦ .

(١٠٣) أخرجه البخارى بلفظ « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، فأولئك شرار الخلق عند الله ، يوم القيامة » جزء أول ص ٨٦ ، وأخرجه مسلم أيضا الجزء الأول ص ٣٧٦ حديث رقم ١٦ ط . عبد الباقى .

(١٠٤) (لَتَّ) السويق ونحوه ــ لَتًّا : خلطه بسمن أو غيره . و ــ العَجين ونحوه : بلَّه بشىء من الماء وقد أشار القرآن الكريم إلى سوء أدبهم مع ربنا فى تسمية آلهتهم فسموها بأسمائه سبحانه لكنهم راحوا يلحدون فيها فسموا الله « اللاّت » وسموا العزيز « العُزَّى » .

وقد طلب إلينا القرآن الكريم أن نَذَرَ ونترك تلك الأسماء التى اشتقوها من أسمائه الحسنى ، وأن ندعو ربنا بأسمائه التى عرَّفنا بها غير متجاوزين ولا ملحدين !

﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يُلحدون فى أسمائه سيُجزَوْن ما كانوا يعملون** ﴾

[الاعراف : ١٨٠]

(١٠٥) السَّوِيقُ : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمى بذلك لانسياقه فى الحلق . الجمع : أسْوِقة .

للحاج ، فلما مات عكفوا على قبره . وقد ذكروا أيضاً أن وداً ، وسواعاً ، ويغوث ، ويعوق ، ونسراً ، قوم صالحون ، كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أتباعهم : لو صورنا صورهم . فلما مات الأتباع ، وجاء بعدهم قوم اخرون ، أتاهم إبليس ، فقال : إنما كان أولئك يعبدونهم ، وبهم يُسْقون المطر . فعبدوهم . وذكر ذلك محمد بن جرير الطبرى بسنده . وهذه العلة التى لأجلها نهى الشارع ﷺ هى التى أوقعت كثيراً من الأمم إما فى الشرك الأكبر أو فيما دونه . ولهذا تجد أقواماً كثيرة من الضالين يتضرعون عند قبر الصالحين ، ويخشعون ، ويتذللون ، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها فى بيوت الله المساجد ، بل ولا فى الأسحار[١٠٦] بين يدى الله تعالى ، ويرجون من الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه فى المساجد التى تشد إليها الرحال[١٠٧] .

فهذه المفسدة هى التى حسم النبى ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة فى المقبرة مطلقاً وإن لم يقصد المصلّى بركة البقعة ولا ذلك المكان سدّاً للذريعة[١٠٨] إلى تلك المفسدة التى من أجلها عبدت الأوثان . فأما إن قصد الإنسان الصلاة عندها ، أو الدعاء لنفسه فى مهماته وحوائجه متبركاً بها راجياً للإجابة عندها ، فهذا عين المحادَّة[١٠٩] لله ولرسوله ، والمخالفة لدينه وشرعه ، وابتداع دين لم يأذن به الله ولا رسوله ولا أئمة المسلمين المتبعين آثاره وسننه .

فإن قصد القبور للدعاء رجاء الاجابة فمنهى عنه ، وهو إلى التحريم أقرب . والصحابة رضى الله عنهم ـــ وقد أجدبوا مراتٍ ـــ ودهمتهم نوائب[١١٠] بعد

---

(١٠٦) الأسْحَار : جمع سحَر وهو آخر الليل قبيل الصبح ، والسُّحَر الأعلى ما قبل انصداع الفجر ، والسُّحر الآخر ، عند انصداعه وفى القرآن : ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ [ال عمران : ١٧]

(١٠٧) المساجد التى تُشَدّ إليها الرحال : ثلاثة .. المسجد الحرام بمكة ، ومسجد النبى ﷺ بالمدينة ، والمسجد الأقصى . وللصلاة فيها فضلها المتزايد عن غيرها من المساجد والرِّحال : جمعه رحل ، ما يرتحل عليه ويكون وسيلة للانتقال .

(١٠٨) فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ونحن نغلق الباب فى وجه الريح لنستريح !

(١٠٩) حادَّه : عاده وغاضبهُ ﴿ **إن اللذين يُحَادُّن الله ورسوله أولئك فى الأذلين** ﴾ .

(١١٠) النوائب : جمع نائبة ، وهى ما ينزل بالرجل من الكوارث والحوادث المؤلمة . ويقال : حُمَّى نائبه : راجعة تأتى كل يوم .

موته ﷺ ، فهلا جاءوا فاستسقوا[111] واستغاثوا عند قبر النبى ﷺ وهو أكرم الخلق على الله عز وجل ، بل خرج فيهم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالعباس عم النبى ﷺ إلى المصلى فاستسقى به ، ولم يستسقوا عند قبر النبى ﷺ .

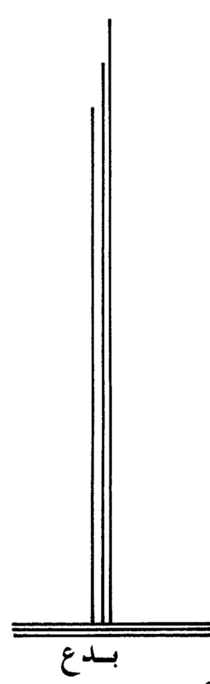
فاقتد أيها المسلم إن كنت عبد الله بسلفك الصالح ، وتحقق التوحيد الخالص ؛ فلا تعبد إلا الله ، ولا تشرك بربك أحداً ، كما أمر تعالى بقوله : **﴿فإياى فاعبدون ﴾**[112] ، وقال تعالى : **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**[113] . فلا تعبد إلا إياه ولا تدْعُ إلا هو ، ولا تستعن إلا به ، فإنه لا مانعَ ولا مُعْطىَ ولا مَضارٌ ولا نافعَ إلا هو سبحانه وتعالى ، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب .



(١١١) طلبوا من الله السقيا عند عدم نزول المطر وحلول الجفاف متوسلين به مستغيثين عند قبر نبيه .. ولم يحدث منهم ذلك بعد أن لقى ربه .

(١١٢) العنكبوت : ٥٦ .

(١١٣) الكهف : ١١٠ .



بـدع
الأعياد والمناسبات والمواسم

فصـــل

بدع الأعياد والمواسم والنهى عن مشاركة أهل الكتاب فى أعيادهم ومواسمهم

ومن البدع والمنكرات مشابهة الكفار وموافقتهم فى أعيادهم ومواسمهم الملعونة ، كما يفعل كثير من جَهَلَة المسلمين فى مشاركة النصارى وموافقتهم فيما يفعلونه فى خميس البيض الذى هو أكبر أعياد النصارى ، وفى المواليد وفى الشتاء من إيقاد النار ، وصنع قطائف ، وصبغ البيض ، وخبز أقراص ، وشراء بخور ، وخضاب الصبيان والنساء ويزعمون أن مريم عليها السلام تخرج من قبرها تمر على تلك الثياب المنشورة ، فيصيبها من بركتها . وذلك باطل لا أصل له . فطائفة يجعلون على أبواب بيوتهم ودورهم صور الحيات والعقارب والصلبان ، يزعمون أنها تطرد الهوام عنهم ، وإنما تطرد الملائكة ؛ إذ صح عن النبى ﷺ أنه قال : «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[١١٤] .

ويقطعون قرون البقر والغنم والمعز بالنورة[١١٥] لأجل البركة . وكل هذا باطل لاشك فى تحريمه . وقد يبلغ التحريم فى بعضه إلى أن يكون من الكبائر وليس على المسلم أن يبحث عنها ولا يعرفها ، بل يكفيه أن يعرف فعلاً من أفعالهم أو يوما أو مكانا بسبب تعظيمه من جهتهم ، وأنه لا أصل له فى دين الإسلام ، ونحن نبينه على ما رأينا كثيراً من الناس الجاهلين قد وقعوا فيه . فمن ذلك خميس البيض ، الذى تقدم ذكره ، الذى يسمونه الخميس الكبير . وانما

---

(١١٤) رواه البخارى بلفظ « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل » فى كتاب بدء الخلق ، ومسلم فى اللباس وأبو داود فى الطهارة ، والترمذى فى الادب ، وابن ماجه فى اللباس ، والدارمى فى الاستئذان وأحمد فى المسند .

(١١٥) النورة : الوَسْم والعلامة ، ويقال : نار البعيرَ : جعل عليه ناراً أى سِمَةً .

هو الخميس الحقير ، وهو عيد النصارى الأكبر ، فجميع ما يحدثه المسلم فيه فهو من المنكرات .

ومن المنكرات فيه : خروج النساء الى ظاهر البلد ، وتبخير القبور ، ووضع الثياب على السطح ، وكتابة الأوراق وإلصاقها بالأبواب ، واتخاذه موسماً لبيع البخور ، وشراء ورقة ، فإن رقى البخور واتخاذه قرباناً هو دين النصارى والصابئين ، وإنما البخور طيب يتطيب بدخانه كما يتطيب بسائر الطيب ، ويستحب البخور حيث يستحب التطيب . وكذلك اختصاصه بطبخ عدس أو بسيسة أو صبغ بيض ، أو خبز أقراص ، ونحو ذلك . فأما القمار بالبيض ، وبيع البيض لمن يقامر به ، أو شراؤه من المقامرين ، فظاهره التحريم .

ومن ذلك ما يفعله الفلاحون من نكث قرون البقر والماعز والغنم ، أو نكث الشجر ، أو جمع أنواع من النبات والتبرك بها والاغتسال بمائها .

ومن ذلك ما يفعله النساء من أخذ ورق الزيتون والاغتسال بمائه ، أو قصد الاغتسال فى الحمام فى يوم السبت الذى يسمونه سبت النور ، أو الانغماس فى ماء ، فإن أصل ذلك ماء المعمودية .

ومن ذلك تعطيل الوظائف الرئيسية من الصنائع والتجارات ، وغلق الحوانيت ، واتخاذه يوم راحة وفرح على وجه يخالف ما قبله وما بعده من الأيام . كل ذلك منكر وبدعة ، وهو شعار النصارى فيه . فالواجب على المؤمن بالله ورسوله أن لا يحدث فى هذا اليوم شيئا أصلاً ، بل يجعله يوماً كسائر الايام .

النهى عن الاحتفال بما يسمى بليلة رأس السنة الميلادية :

ومما يفعله كثير من الناس فى فصل الشتاء ، ويزعمون أنه ميلاد عيسى عليه السلام ، فجميع ما يصنع أيضا فى هذه الليالى من المنكرات ، مثل : إيقاد النيران ، وإحداث طعام ، وشراء شمع ، وغير ذلك ؛ فإن اتخاذ هذه المواليد موسماً هو دين النصارى ، وليس لذلك أصل فى دين الإسلام . ولم يكن لهذا

الميلاد ذكر فى عهد السلف الماضين ، بل أصله مأخوذ عن النصارى ، وانضم إليه بسبب طبيعى ، وهو كونه فى الشتاء المناسب لإيقاد النيران . ثم إن النصارى تزعم أن يحيى عليه السلام بعد الميلاد بأيام عمد عيسى عليه السلام فى ماء المعمودية(١١٦) ، فهم يتعمدون ــ أعنى النصارى ، فى هذا الوقت ويسمونه عيد الغطاس . وقد صار كثير من جُهَّل المسلمين يدخلون أولادهم الحمام فى هذا الوقت ، ويزعمون أن ذلك ينفع الولد . وهذا من دين النصارى ، وهو من أقبح المنكرات المحرمة .

النهى عن التشبه بالكافرين :

ومن ذلك أعياد اليهود أو غيرهم من الكافرين او الأعاجم والأعراب الضالين ، لا ينبغى للمسلم أن يتشبه بهم فى شىء من ذلك ، ولا يوافقهم عليه ، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين**﴾(١١٧) . وأهواء الذين لا يعلمون هو ما يهوونه من الباطل ، فانه لا ينبغى للعالم أن يتبع الجاهل فيما يفعله من أهواء نفسه ، قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿**ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين**﴾(١١٨) . فإذا كان هذا خطابه لنبيه ﷺ ، فكيف حال غيره إذا وافق الجاهلين أو الكافرين وفعل كما يفعلون مما لم يأذن به الله ورسوله ويتابعهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم ؟ وترى كثيرا من علماء المسلمين الذين يعلمون العلم الظاهر ، وهم منسلخون منه فى الباطن ، يصنعون ذلك مع الجاهلين فى مواسم الكافرين بالتشبه بالكافرين ، وقد جاء عن النبى ﷺ أنه قال : «**من أشد الناس عذاباً يوم**

---

(١١٦) التعميد : أحد أسرار الكنيسة ، ويتم بالتغطيس فى الماء ، وتجيز الكنيسة السكب على الجبين للضرورة ، ويمارس بطقس خاص ، وبه تحدث انعمة ــ كما يزعمون ــ لإزالة الخطيئة الأصلية .

(١١٧) الجاثية : ١٨ ــ ١٩ .

(١١٨) البقرة : ١٤٥ .

القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه »(١١٩) . والتشبه بالكافرين حرام وإن لم يقصد ما قصده ، بدليل ما روى عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « **من تشبه بقوم فهو منهم** » . رواه أبو داود وغيره فى السنن . فهذا الحديث أقر أحوالا تقتضى تحريم التشبه بهم .

روى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « **ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى** » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **خالفوا المشركين ، احفوا الشوارب ، وأعفوا اللحى** »(١٢٠) فأمر رسول الله ﷺ بمخالفة المشركين مطلقاً .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إياكم ورطانة(١٢١) الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين فى كنائسهم .

وقال عبد الله بن عمر : من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم(١٢٢) ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حُشر معهم يوم القيامة .

وقد شرط عليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن لايظهروا أعيادهم فى بلاد المسلمين ، فإذا كانوا ممنوعين من إظهار أعيادهم فى بلادنا ، فكيف يسع المسلم فعلها ؟ هذا مما يقوى طمعهم وقلوبهم فى إظهارها ، وإنما منعوا من ذلك لما فيه من الفساد ، إما لأنه معصية ، وإما لأنه شعار الكفر . والمسلم ممنوع من ذلك كله . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اجتنبوا أعداء الله فى دينهم ، فإن السخط ينزل عليهم . فموافقتهم فى أعيادهم من أسباب سخط

---

(١١٩) أخرجه الطبرانى ، وسعيد بن منصور ، وابن عدى ، والبيهقى ، عن أبى هريرة ، بلفظ : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه » .

وأخرجه الدارمى فى السنن بلفظ « من أشر الناس .. عالم لا يُنتفَعُ بعلمه » .

(١٢٠) أخرجه البخارى ومسلم .

(١٢١) (الرطانة) — يقال كلمهُ بالرطانة : بالكلام الأعجمى ، أو بكلام لا يفهمه الجمهور ، وإنما هو مواضعة بين اثنين أو جماعة .

(١٢٢) النيروز : اول السنة الشمسية عند الفرس .

الله تعالى لأنه إما محدث وإما منسوخ .

مقاطعة المتشبه بهم وعدم جواز بيع العنب لمن يصنع الخمر منهم :

والمسلم لا يقر على واحد منهما . وكما لايحل التشبه بهم فى أعيادهم ، فلا يُعان المسلم المتشبه بهم فى ذلك ، بل ينهى عنه . كما لا يحل بيع العنب لمن يعصرها خمراً . ومن صنع فى أعيادهم دعوة لم يجب إليها ، ومن أهدى من المسلمين هدية فى هذه الأعياد مخالفة العادة ، وهى مما فيه تشبه بهم ، لم تقبل هديته .

واعلم أن نفى مخالفتهم أمر مقصود للشارع ؛ لأن الكفر بمنزلة مرض القلب وأشد ، ومتى كان القلب مريضاً لم يصح من الأعضاء ؛ وإنما الصلاح أن لا يشبه القلب فى شىء من أمور الكافر لأنها كلها إما فاسدة وإما ناقصة . فالحمد لله على نعمة الإسلام التى هى أعظم النعم ، وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى . فموافقتهم فيما هو منسوخ بشريعتنا قبيح ، وأقبح منه ما أحدثوه من العبادات أو العادات ؛ فإنه مما أحدثه الكافرون ، وموافقة المسلمين لهم فيه من أعظم المنكرات . فكل ما يتشبهون بهم من عبادة أو عادة ، فهو من المحدثات والمنكرات . وقد مدح الله عز وجل من لم يشهد أعيادهم ومواسمهم ولم يشاركهم فيها بقوله : **﴿والذين لا يشهدون الزور﴾** ، قال مجاهد والضحاك والربيع بن أنس : هو أعياد المشركين . وقال ابن سيرين : هو الشعانين(١٢٣) . وتقدم قوله ﷺ : **« خالفوا المشركين »** وقال : **«من تشبه بقوم فهو منهم»**(١٢٤) .

واعلم أنه لم يكن على عهد السلف السابقين من المسلمين من يشاركهم فى شىء من ذلك . فالمؤمن حقاً هو السالك طريق السلف الصالحين المقتفى لآثار نبيه سيد المرسلين ﷺ ، المقتفى بمن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

---

(١٢٣) الشَّعانين : عيد مسيحى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح ، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس .

(١٢٤) سبق .

والشهداء والصالحين . فجعلنا الله منهم بمنه وكرمه إنه جواد كريم .

عدم الاغترار بكثرة الضالين واتباع أهل الحق ولو كانوا قلة :

ولا ينظر الرجل إلى كثرة الجاهلين الواقعين فى مشابهة الكافرين والعلماء والغافلين وموافقتهم ، فقد قال السيد الجليل الفضيل بن عياض رضى الله عنه : عليك بطريق الهدى وإن قل السالكون[١٢٥] واجتنب طريق الردَّى[١٢٦] وإن كثر الهالكون .

اللهم اجعلنا من المهتدين المتبعين لآثار سبيل الصالحين ، ولا تجعلنا من الهالكين المتبعين لآثار سبيل الكافرين والضالين بمنك وكرمك ، إنك جواد كريم .



(١٢٥) فالعين البصيرة تقود ألف أعمى .

(١٢٦) الرَّدَى : الهلاك ، والضلال الذى يُردى .



فصـــل
ما يظنه الناس طاعة وقربة وهو بخلاف ذلك

وأما القسم الثانى مما يظنه الناس طاعة وقربة ، وهو بخلاف ذلك ، أو تركه أفضل من فعله ، وهو ما قد أمر به الشارع فى صورة من الصور من زمان مخصوص ، أو مكان معين ؛ كالصوم بالنهار ، والطواف بالكعبة ، أو أمر به شخصاً دون شخص ، كالذى اختص به النبى ﷺ فى المباحات والتخفيفات ، فيقيس الجاهل نفسه عليه ، فيفعله وهو منهى عن فعله ، أو يقيس الصور بعضها على بعض بسبب الحرص على الإكثار من إيقاع العبادات والقرب والطاعات ، فيحملهم الحرص على فعلها فى أوقات وأماكن نهاهم الشرع فى اتخاذ تلك الطاعات فيها . ومنها ما هو محرم ، ومنها ما هو مكروه . ويورطهم الجهل وتزيين الشيطان بأن يقولوا هذه طاعات وقرب ، قد ثبت فى غير هذه الأوقات فعلها، نحن نفعلها أبداً ، فإن الله لا يعاقبنا على فعل الطاعة إذا ما فعلناها .

الصلاة فى الأوقات المكروهة :

وذلك مثل الصلاة فى الأوقات المكروهة ، وهى بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد طلوعها حتى ترتفع قدر رمح ، وعند استوائها حتى تزول ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس .

صوم الايام المكروهة :

وكصومهم فى الأيام المنهى عنها كالعيدين ، وأيام التشريق ، وكوصالهم فى الصيام الذى هو من خصائص النبى ﷺ . وقد اشتد نكيره على من فعل ذلك .

الرد على من فعل هذا :

فهؤلاء وأمثالهم متقربون إلى الله بما لم يشرعه الله ، بل نهى عنه . وإذا قيل لهؤلاء : ﴿**لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾[١٢٧] وما أحسن ما قال ولى الله أبو سليمان الدارانى[١٢٨] رحمه الله : ليس لمن ألهم شيئاً من الخيرات أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر[١٢٩] ، فإذا سمعه من الآثر عمل به ، وحمد الله تعالى حين وافق ما فى قلبه .

وقال أيضاً : ربما وقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياماً ، ولا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة .

وقال أبو حامد الغزالى[١٣٠] رحمه الله : من توجب عليه رد وديعة فى ذمته ، فقام فتحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات إلى الله تعالى ، عصى ربه .

فلا يكفى كون جنس فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت ، والشرط ، والترتيب .

واغتر بعض الجاهلين بقوله تعالى : ﴿**واسجد واقترب**﴾[١٣١] ، وظنَّ أن هذا يقتضى العموم فى جميع الاوقات ، واعتضد بقوله : ﴿**أرأيت الذى ينهى**

---

(١٢٧) البقرة : ١١ — ١٢ .

(١٢٨) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى المذحجى ، أبو سليمان (... — ٢١٥ هـ = ... — ٨٣٠ م) : زاهد مشهور ، من أهل داريًا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد ، وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام ، وتوفى فى بلده . كان من كبار المتصوفين .

(١٢٩) أى حتى يأتى دليل من الشرع كتاباً أو سنة .

(١٣٠) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى ، أبو حامد ، حجة الإسلام : (٤٥٠ — ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ — ١١١١ م) ؛ غنى عن التعريف . وإذا أردت معلومات تفصيلية عنه ، يمكن أن ترجع لكتاب « حياة الغزالى » للدكتور زويمر ، و « أبو حامد الغزالى » للأستاذ محمد رضا . والدراسة المفصلة التى كتبها عنه الأستاذ/ محمد عثمان الخشت ، فى مقدمة تحقيقه لكتاب « المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى أو « بداية الهداية » ، وإذا أراد القارىء بياناً تفصيليا بكتب الغزالى فليرجع لكتاب الدكتور / عبد الرحمن بدوى « مؤلفات الغزالى » .

(١٣١) العلق : ١٩ .

عبداً إذا صلى ﴾[١٣٢] وغفل عن أن السجود المقرب إلى الله تعالى هو السجود المأذون فيه ، وهو المشروع . والإنكار فى الآية وقع على من نهى عن الصلاة المأذون فيها ، وهى المشروعة ، فتلك التى لا ينبغى لأحد أن ينهى عنها . أما إذا صلى صلاة قد علمنا نهى الشارع عنها ، فإنه يجب على كل أحد علم به نهيه عنها ، بدليل الحديث الثابت فى الصحيحين[١٣٣] من رواية ابن عمر رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ نهى عن الصلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب . وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : « ثلاث ساعات كان رسول ﷺ ينهى أن نصلى[١٣٤] أو نَقْبُر فيهن موتانا : حين تطلع الشمس بازغةً حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تضَيَّفُ[١٣٥] للغروب حتى تغرب » أخرجه مسلم[١٣٦] .

وعن ابن عمر : أنه رأى رجلاً يصلى بعد الجمعة فى مقامه ركعتين ، فدفعه .

وفى رواية : أنه أبصر رجلاً يصلى الركعتين والمؤذن يقيم الصلاة فدفعه ، وقال : تصلى الصبح أربعاً ؟!! أخرجه البيهقى فى السنن .

وقد جاء هذا اللفظ فى الصحيح مرفوعاً من حديث عبد الله بن مالك بن عيينة .

وروى البيهقى عن عمر رضى الله عنه : أن النبى ﷺ نهى عن التنفل[١٣٧]

---

(١٣٢) العلق : ٩ ، ١٠ .

(١٣٣) البخارى : مواقيت ٣٠ ، ٣١ ؛ مسجد مكة ٦ ، صيد ٢٦ ، صوم ٦٦ ، ٦٧ . ومسلم : مسافرين ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ .

(١٣٤) فى الأصل : « يصلى » ، وما أثبتناه هو الصحيح استناداً لما جاء فى كتب السنة .

(١٣٥) تَضَيَّفُ : أى تميل .

(١٣٦) وأخرجه أيضاً أبو داود فى الجنائز ، والترمذى فى الجنائز ، والنسائى فى المواقيت ، وابن ماجه فى الجنائز ، والدارمى فى الصلاة .

(١٣٧) النفل : لغة اسم للزيادة ، ولهذا سميت الغنيمة نفلاً لأنه زيادة على ما هو المقصود من شرعية الجهاد وهو إعلاء كلمة الله وقهر أعدائه . وفى الشرع اسم لما شرع زيادة على الفرائض والواجبات وهو المسمى بالمندوب والمستحب والتطوع .

بعد الفجر سوى ركعتى الفجر .

قال يسار مولى ابن عمر : رآنى ابن عمر وأنا أصلى بعد الفجر وأسلم من ركعتين ، فقال : إن رسول الله ﷺ خرج علينا ونحن نصلى كما تصلى فقال : «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، لا تصلوا بعد الفجر إلا سجدتين**» يعنى سنة الفجر لا غير .

وعن ابن عمر ايضاً : أن رسول الله ﷺ نهى عن الوصال ، فقالوا : إنك تفعله ! فقال : «**إنى لست كأحدكم إنى يطعمنى ربى ويسقينى**» وعن أبى هريرة نحوه . متفق عليه .

وعن كعب بن مالك : أن رسول ﷺ بعثه وأوس بن الحارث فى أيام التشريق ، فناديا أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وأيام منى أيام أكل وشرب . رواه مسلم ، ورواه الإمام أحمد بنحوه عن سعد بن أبى وقاص .

وروى الدار قطنى عن أنس أن النبى ﷺ نهى عن صوم خمسة أيام فى السنة : يوم الفطر ، ويوم النحر ، وثلاثة أيام التشريق . ونهى ﷺ ايضاً عن استقبال رمضان باليوم أو اليومين ، وعن إفراد الجمعة بالصيام وليلتها بالقيام ، وعن إفراده يوم السبت بالصوم ، وكذا صيام أعياد الكفار على سبيل التعظيم ما لم يوافق عادة له[١٣٨] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول لله ﷺ : «**لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام بين الليالى ولاتخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون صوماً يصومه أحدكم**» رواه مسلم .

وعن عبد الله بن بشير عن أخته واسمها الصماء : أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم ، فإن لم يجد أحدكم إلا عود**

---

(١٣٨) وأخرجه أيضا الحكيم الترمذى فى كتاب « المنهيات » بتحقيق محمد عثمان الخشت ، ص ٢١٧ إصدار مكتبة القرآن .

عنب أو لَحِاء شجرة فليمضغه» . رواه أبو داود والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجلا كان يصوم صوماً فليصمه**» . متفق عليه .

أفيجوز لمسلم أن يسمع هذه الأحاديث ، ثم يقول إن النبى ﷺ نهى الناس عن الصلاة والصوم من حيث هو صلاة أو صوم ؟ وقائل هذا جاهل محرف لكتاب الله وسنة رسول ﷺ ، فيدل كلامه على أنه مارق من الدين ، قد سلبه الله لذة فهم مراده من وحيه ، وإن كان هذا من أوضح المواضع ، فكيف بما يدق معانيه ؟ فكل من رد على الناهى عن ذلك ، فإنه يتضمن الرد على رسول الله ﷺ ، فإنه هو الذى نهى ، وأمرنا بإنكار المنكر ، والله حسيب من افترى .

صلاة الرغائب :

ومن هذا القسم أمور اشتهرت فى معظم بلاد الإسلام ، وعظم وقعها عند العوام ، ووضعت فيها أحاديث كذب على رسول الله ﷺ ، واعتقد بسبب تلك الأحاديث فيها ما لم يعتقد فيما افترضه الله تعالى واقترن بها مفاسد كثيرة ، وأدى التمادى فى ذلك إلى أمور منكرة ، فتطاير شررها فظهر شرها ، فمنها «**صلاة الرغائب**» فى «**أول ليلة جمعة من رجب**» . واعلم رحمك الله أن تعظيم هذا اليوم ، وهذه الليلة ، إنما أحدث فى الإسلام «**بعد المائة الرابعة**» وروى فى حديث موضوع باتفاق العلماء مضمونه : فضيلة صيام ذلك ، وقيام تلك الليلة وسموها صلاة الرغائب[١٣٩] . والذى عليه المحققون من أهل العلم النهى عن إفراد هذا اليوم بالصوم ، وعن قيام هذه الليلة بهذه الصلاة المحدثة ، وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم من صنع الأطعمة وإظهار الزينة وغير ذلك

---

(١٣٩) صلاة الرغائب المشهور بين الناس أنها هى التى تصلى بين العشائين ليلة أول جمعة فى شهر رجب . والرغائب : ما يرغب فيه ، الواحدة رغيبة — يعنى الثواب العظيم ؛ وكأنها سميت بذلك لأجل العطايا الحاصلة لمصليها بزعم واضع الحديث فيها .

حتى يكون هذا اليوم بمنزلة غيره من الأيام . وكذلك يوم آخر فى وسط رجب تصلى فيه صلاة تسمى (صلاة أم داود) ، فإن ذلك أيضاً لا أصل له .

من هو واضع تلك الصلاة ؟

وقال الإمام الحافظ أبو الخطاب : أما صلاة الرغائب فالمتهم بوضعها على ابن عبد الله بن جهضم ، وضعها بحديث عن رجال مجهولين لم يوجدوا فى جميع الكتب ، وأصلها ما حكاه الطرطوشى فى كتابه ، قال : أخبرنى أبو محمد المقدسى قال : لم يكن عندنا فى بيت المقدس قط «**صلاة الرغائب**» هذه الليلة تصلى فى رجب وشعبان ، وأول ما حدثت عندنا فى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، قدم علينا فى بيت المقدس رجل من (نابلس) يعرف بابن أبى الحمرا ، وكان حسن التلاوة ، فقام يصلى فى المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان ، فصلى خلفه رجل ، ثم انضاف إليهما ثالث ورابع ، فما ختمها إلا وهم جماعة كثيرة ، ثم جاء فى العام الثانى ، فصلى معه خلق كثير ، وشاعت فى المسجد الأقصى هذه الصلاة ، وانتشرت فى بيوت الناس ومنازلهم ، ثم استقرت من ذلك الزمان كأنها سنة إلى يومنا هذا ، فقيل لذلك الرجل الذى أحدثها بعدما تركها : إنا رأيناك تصليها فى جماعة ؟ قال : نعم وأستغفر الله منها .

قال : وأما صلاة رجب فلم تحدث عندنا فى بيت المقدس إلا بعد سنة ثمانين وأربعمائة. وما كنا رأيناها ولا سمعنا بها من قبل ذلك .

فتوى ابن الصلاح فى صلاة الرغائب :

وقد استفتى فيها الشيخ تقى الدين بن الصلاح[١٤٠] رحمه الله ، فقال : اما الصلاة المعروفة فى ليلة الرغائب . فهى بدعة ، وحديثها المروى موضوع ، وما حدث إلا بعد اربعمائة سنة من الهجرة ، وليست ليلتها تفضل على أشباهها من ليالى الجمع .

---

(١٤٠) تقى الدين بن الصلاح من كبار علماء مصطلح الحديث ، من أشهر مؤلفاته كتابه المعروف باسم « مقدمة ابن الصلاح » فى علوم الحديث .

ليلة النصف من شعبان :

وأما ليلة النصف من شعبان ، فلها فضل ، وإحياؤها بالعبادة مستحب ، ولكن على الانفراد ومن غير جماعة . واتخاذ الناس لها ولليلة الرغائب موسماً وشعاراً بدعة مكروهة ، وما يزيدونه فيها على الحاجة والعادة من الوقيد ونحوه فغير موافق للشريعة .

الصلاة الألفية :

والصلاة الألفية التى تصلى ليلة النصف من شعبان لا أصل لها ولأشباهها . فالعجب من حرص الناس على الأمر المبتدع فى هاتين الليلتين ، وتقصيرهم فى الأمور المؤكدة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، والله المستعان .

واعلم أن هذه الصلاة المبتدعة تناقض قواعد الشريعة من وجوه .

أحدهما : أن النبى ﷺ نهى عن قيام ليلة الجمعة على التخصيص ، وهذا النهى بطريق النظر يشمل النهى عن صلاة الرغائب ، فكان فعلها داخلاً تحت النهى .

الثانى : مخالفة سنة السكون فى الصلاة بسبب عد التسبيحات ، وعدّ سورة القدر ، والإخلاص ، فى كل ركعة ، ولا يتأتى ذلك إلا بتحريك الأصابع فى الغالب . وقد ثبت فى الصحيحين : أن النبى ﷺ قال : «**اسكنوا فى الصلاة**»[١٤١] .

الثالث : مخالفة سنة خشوع القلب وحضوره فى الصلاة ، وتعريفه الله تعالى ، وملاحظة جلاله[١٤٢] ، والوقوف على معانى القرآن ؛ وهو المطلوب الأعظم فى الصلاة . وإذا لاحظ المصلى عدَّ قراءة السورة والتسبيحات بقلبه كان مستلفتاً عن الله تعالى معرضاً عنه .

---

(١٤١) مسلم : صلاة ١١٩ ، والنسائى : كتاب السهو باب ٥ ، وأحمد : الخامس ص ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٧ .

(١٤٢) لله تعالى صفات جلال وصفات جمال ، أما صفات الجلال فهى ما يتعلق بالقهر والغضب . وأما صفات الجمال فهى ما يتعلق بالرضا واللطف .

الرابع : مخالفة سنة النوافل من جهة أن فعلها فى البيوت أولى من فعلها فى المساجد ، ومن جهة أن فعلها بالانفراد أولى من فعلها فى الجماعة إلا ما استثناه الشرع .

الخامس : أن كمال هذه الصلاة عند واضعها المبتدع أن يفعلها مع صيام ذلك اليوم ولا يفطر حتى يصليها ، وعند ذلك يلزم أمران أحدهما تعجيل الفطر ، والثانى تفريغ القلب من الشواغل القلقه بسبب جوع الصائم وعطشه ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ : «**إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء**»(١٤٣) وهذه الصلاة يدخل فيها بعد الفراغ من صلاة المغرب ، ولا يفرغ منها إلا عند دخول وقت العشاء الآخرة ، فتوصل بصلاة العشاء ، والقلق باق ، ويتأخر الفطر إلى ما بعد ذلك .

السادس : أن سجدتى هذه الصلاة المفعولتين بعد الفراغ منها مكروهتان ؛ فإنهما سجدتان لا سبب لهما ، والشريعة لم ترد بالتقرب إلى الله تعالى بالسجود إلا فى الصلاة أو بسبب خاص : من سهو أو قراءة سجدة ، وفى سجدة الشكر خلاف ، استحبها الشافعى وأحمد رحمهما الله ، وكره ذلك النخعى ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله . قال الفقيه أبو محمد : لم ترد الشريعة بالتقرب إلى الله تعالى بسجدة منفردة لا سبب لها ، فإن القُرب لها أسباب ، وشرائط ، وأوقات ، وأركان ، لا تصح بدونها . ويكره إفراد رجب بالصوم . قال الشافعى رحمه الله .

وأكره أن يتخذ الرجل صوم شهر بكماله كما يكمل رمضان . وكذلك يوم من بين الايام .

* حكم صوم رجب :

وذكر أبو الخطاب فى كتاب أداء ما وجب فى بيان وضع الواضعين فى رجب .

---

(١٤٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان بلفظ « إذا وضع ..» ومسلم فى كتاب المساجد . وأبو داود فى كتاب الأطعمة . والترمذى فى المواقيت . والنسائى فى كتاب الإمامة . وابن ماجه فى الإقامة ، والدارمى فى الصلاة . وأحمد فى المسند .

عن المؤثر بن احْمد الساجى الحافظ ، قال : كان الإمام عبد الله الأنصارى شيخُ خراسان لا يصوم (رجباً) وينهى عنه ، ويقول : ما صَحَّ فى فضل رجب ولا صيامه شيء عن رسول الله ﷺ . قال : وقد روى كراهية صومه عن جماعة من الصحابة ، منهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . وكان عمر رضى الله عنه يضرب بالدرة[١٤٤] صوامه فإن قيل : هو استعمال خير ؟ قيل له : استعمال الخير ينبغى أن يكون مشروعاً من رسول الله ﷺ ، فإذا علمنا أنه كذب على رسول الله ﷺ خرج عن المشروعية ، وإنما كانت تعظمه مضر فى الجاهلية ، كما قال عمر رضى الله عنه ، وضربه أيدى الذين يصومونه . وكان ابن عباس رضى الله عنهما حبر[١٤٥] القرآن يكره أيضا صيامه . وروى أبى بكر الطرطوشى بإسناده عن عمر رضى الله عنه أنه كان يضرب أيدى الرجبيين الذين كانوا يصومون رجباً كله .

وكان ابن عمر إذا رأى الناس وما يعدون لرجب كرهه ، وقال : صوموا منه وأفطروا ، فانما هو شهر كانت تعظمه الجاهلية .

بيان بدع ليلة النصف من شعبان :

ومن ذلك صلاة الألفية ليلة النصف من شعبان ، وهى صلاة طويلة مستقلة لم يأت فيها خبر[١٤٦] ولا أثر ضعيف . وللعوامِّ بها افتتان كبير والتزام سيما بكثرة الوقيد[١٤٧] فى جميع مساجد البلاد ، ويجرى فيه من الفسوق

---

(١٤٤) الدِّرَّة : عصا أو سوط يُضْرَبُ به . وكان لعمر درته .

(١٤٥) أى العالم به وتنطق بفتح الحاء وكسرها .

(١٤٦) الخبر على ثلاثة أقسام :

خبر متواتر ، وخبر مشهور ، وخبر واحد .

اما الخبر المتواتر ، فهو كلام يسمعه من رسول الله ﷺ جماعة ، ومنها جماعة أخرى ، إلى أن ينتهى الى المتمسك .

وأما الخبر المشهور ، فهو كلام يسمعه من رسول الله ﷺ واحد ، ويسمعه من الواحد جماعة ، ومن تلك الجماعة أيضا جماعة ، إلى أن ينتهى إلى المتمسك .

والفرق هو أن جاحد الخبر المتواتر يكون كافراً بالاتفاق ، وجاحد الخبر المشهور مختلف فيه ، وجاحد خبر الواحد لا يكون كافراً بالاتفاق .

(١٤٧) الوقاد ، والوقيد ، والوقود ما توقد به النار .

والعصيان ، واختلاط الرجال والنساء ، ومن الفتن المختلفة والمنكرات ، ما شهرته تغنى عن وصفه وأصلها ما حكاه الطرطوشى فيما تقدم . وروى ابن وضاح عن زيد بن أسلم قال : ما أدركت أحداً من أصحابنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان ، ولا يلتفتون إلى حديث مكحول ، ولا يرون لها فضلا على ما سواها ، وقيل لابن أبى مليكة : إن زياداً النهرى يقول : إن أجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القدر . فقال : لو سمعته وبيدى عصاً لضربته بها . وكان زياد قاصاً(١٤٨) . قال الحافظ أبو الخطاب : قال أهل التعديل والجرح : ليس فى فضل النصف من شعبان حديث صحيح .

فتحفظوا عباد الله من مفترٍ يروى لكم حديثاً يسوقه فى معرض الخير ، فاستعمال الخير ينبغى أن يكون مشروعاً عن رسول الله ﷺ ، فإذا صح أنه كذب وخرج عن المشروعية وكان مستعمله من حزب الشيطان لاستعماله حديثاً كذباً على رسول الله ﷺ لم ينزل الله به من سلطان .

الوقيد ليلة النصف من شعبان :

ثم قال رحمه الله :

مما أحدثه المبتدعون وخرجوا به عما رسمه المشرعون رجوعاً فيه على سنن المجوس ، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً : الوقيد ليلة النصف من شعبان ، ولم يصح فيه شىء عن رسول الله ﷺ ، ولا نطق بالصلاة فيها والإيقاد فيها ذو صدق من الرواة ، وما أحدثه إلا متلاعب بالشريعة المحمدية وراغب فى دين المجوسية ، لأن النار معبودهم ، وأول ما حدث ذلك فى زمن البرامكة فدخلوا فى دين الإسلام يموهون(١٤٩) به على الطعام وهو يعلم الإيقاد فى ليلة النصف من شعبان كأنه سنة من السنن ، ومقصودهم عبادة النيران وإقامة دينهم ، وهو أخس الأديان إذا صلى المسلمون فركعوا وسجدوا ، وكان ذلك إلى النار التى أوقدوا ومضت على ذلك السنون والأعصار وتبعت بغداد فيه سائر الأمصار .

---

(١٤٨) يشتغل بإلقاء القصص على الناس للوعظ والاعتبار .

(١٤٩) يخفون نواياهم ومقصودهم وراء الإطعام . وهدفهم الحقيقى إشعال النيران التى أطفأها الإسلام .

وهذا مما يجتمع فى تلك الليلة من الرجال والنساء واختلاطهم فالواجب على السلطان منعهم ، وعلى العالِم رَدْعهم ، وإنما شرف شعبان : أن رسول الله ﷺ كان يصومه إلا قليلا .

وما روى فيه من الأحاديث المرفوعة والآثار يقتضى أنها ليلة مفضلة ، وليس فيها بيان صلاة مخصوصة ، وإظهار ذلك على مثل ما ثبت من شعائر الإسلام ، قال الشيخ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله فى الحديث المختص بها الذى فيه صلاة الألفية[١٥٠] هذا الحديث لاشك أنه موضوع ، والحديث محال قطعاً ، قال : وقد رأينا كثيراً ممن يصلى هذه الصلاة يتفق له قِصَر الليل ، فينامون عقبها عن صلاة الصبح ، ويصبحون كُسالى والحديث الوارد فى فضلها ضعيف كما تقدم ، وما يترتب فى هذه الليلة بسبب الوقيد لأجل هذه الصلاة من الفسوق والمعاصى وكثرة اللغط والخطف والسرقة وتنجيس مواضع العبادات وامتهان بيوت الله كل ذلك سببه الاجتماع للتفرج على كثرة الوقيد سببه تلك الصلاة المبتدعة المكروهة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل اجتماع يتكرر بتكرر الأسابيع والشهور والأعوام غير الاجتماعات المشروعة هو المبتدع ، ففرق بين ما يفعل من غير ميعاد وبين ما يتخذ سنة وعادة ؛ فان ذلك يضاهى[١٥١] المشروع وقد كره ابن مسعود وغيره من الصحابة اعتياد الاجتماع فى مكان مخصوص ، وهو المنصوص عن أحمد أنه ، قيل له : تكره أن يجتمع القوم يدعون الله تعالى ويرفعون أيديهم ؟ فقال : ما أكره للإخوان إذا لم يجتمعوا على عهد إلا أن يكثروا . وأصل هذا أن العبادات المشروعة التى تتكرر بتكرر الأوقات حتى تصير سنناً ومواسمَ ، قد شرع الله منها ما فيه كفاية المتعبد ، فإذا أُحْدِثَ اجتماعٌ زائد كان مضاهاة لما شرعه الله تعالى وسنة رسوله ، وفيه من المفاسد ما تقدم التنبيه عليه ، بخلاف ما يفعله الرجل وحده أو الجماعة المخصوصة أحيانا ، او نحو ذلك يفرق بين الكبير

---

(١٥٠) سميت بذلك لأنها يقرأ فيها (قل هو الله أحد) ألف مرة ؛ لأنها مائة ركعة ، فى كل ركعة يقرأ الفاتحة مرة وبعدها سورة الإخلاص ، عشر مرات . وهى صلاة طويلة مستثقلة لم يأت فيها خبر ولا أثر إلا ضعيف أو موضوع .

(١٥١) يضاهى : أى يماثل ويشابه .

الظاهر ، والقليل الخفى ، والمعتاد وغير المعتاد ، وكذلك كل ما كان مشروع الجنس[152] ، لكن البدعة فيما اتخاذه عادة لازمة حتى يصير كأنه واجب .

---

(١٥٢) الجنس : اسم دال على كثيرين مختلفين بأنواع ، كالحى . وجنس الأجناس أو الجنس العالى هو الذى ليس فوقه جنس ، وتحته أجناس ، كالجوهر .



فصـــل
بدع يوم عرفة

ومن ذلك التعريف المحدث[153] . قال ابن وهب : سمعت مالكاً يسأل عن جلوس الناس فى المسجد عشية عرفة بعد العصر واجتماعهم للدعاء ، فقال : ليس هذا من أمر الناس ، وإنما مفاتيح هذه الأشياء من البدع . وقال مالك فى العشية : وأكره أن يجلس أهل الآفاق يوم عرفة فى المساجد للدعاء ، ومن اجتمع إليه الناس فلينصرف فى مقامه ، ومُقامُه فى منزله أحب إليه ، فإذا حضرت الصلاة رجع فصلى فى المسجد ، وروى محمد بن وضاح : أن الناس اجتمعوا بعد العصر من يوم عرفه فى مسجد النبى ﷺ يدعون ، فخرج نافع مولى ابن عمر فقال : ياأيها الناس ، إن الذى أنتم فيه بدعة ، وليست بسنة ، أدركت الناس ولا يصنعون هذا .

قال مالك بن أنس : ولقد رأيت رجالاً ممن يقتدى بهم يتخلفون فى بيوتهم عشية عرفة ، ثم قال : ولا أحب الرجل العالم أن يقعد فى المسجد تلك العشية إذا أرادوا أن يقتدوا به وليقعد فى بيته .

وقال الحارث بن سكن : كنت أرى الليث بن سعد[154] ينصرف بعد العصر يوم عرفة فلا يرجع إلا قرب المغرب .

وقال ابراهيم النخعى : الاجتماع يوم عرفة أمر محدث .

---

(١٥٣) التعريف : الاجتماع يوم عرفة والقعود للدعاء فى أحد المساجد عشية عرفة — أو عند قبر من يحسن الظن به مما يعد حجًا مبتدعا ، وخير لمن يقتدى به أن يقعد فى بيته ، فى ذاك الوقت ، فإذا حضرته الصلاة ، فليتوجه إلى المسجد لادائها .

(١٥٤) الليث بن سعد : فقيه مصرى ، عاصر الإمام مالكاً ، وأخذ عنه ، وعن بعض شيوخه . ففقهه جيد ، جمع بين الرأى والحديث ولم يوافق مالكاً فى الأخذ بعمل أهل المدينة ، وقد سجل ذلك فى رسالة قيمة كتبها إليه .

وقال عطاء الخراسانى : إن استطعت أن تخلو عشية عرفة بنفسك فافعل .

وكان أبو وائل لا يأتى المسجد عشية عرفة .

قال الطرطوشى : فاعلموا رحمكم الله أن هؤلاء الأئمة ، علموا فضل الدعاء يوم عرفه ، ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة لا فى غيرها ، ولم يمنعوا من خلا بنفسه فحضرته نية صادقة أن يدعو الله تعالى ، وإنما كرهوا الحوادث فى الدين ، وأن تظن العوام أن من السنة يوم عرفة بسائر الآفاق(١٥٥) الاجتماع والدعاء فيتداعى الأمر إلى أن يدخل فى الدين ما ليس منه . وقد وجد هذا الذى كرهوه ، فإنه قد حدث فى بعض أهل المشرق والمغرب التعريف عند خير من يحسن الظن به ، ويجتمعون الاجتماع العظيم عند قبره . وهذا نوع من الحج المبتدع الذى لم يشرعه الله تعالى ، واتخاذ القبور أعياداً .

السفر إلى بيت المقدس :

وكذلك السفر إلى بيت المقدس لا خصوص له فى هذا الوقت على غيره . ثم فيه مضاهاة الحج إلى بيت الله الحرام وتشبه له بالكعبة . ولهذا قد أفضى الأمر ببعض الضُلَّال للطواف بالصخرة تشبيها بالكعبة ، أو من حلق الرأس ، أو من النسك هناك كذلك الطواف بالقبة التى بجبل الرحمن بعرفة ، وكذلك اجتماعهم فى المسجد الأقصى فى الموسم لأشياء . والغناء والضرب بالدفوف ونحو هذا من أقبح المنكرات . وهذا منهى عنه خارج المسجد ، فكيف بالمسجد الأقصى . فقصد بقعة بعينها للتعريف(١٥٦) فيها ، كقبر رجل صالح أو المسجد الاقصى ، لا يختلفون فى النهى عنه لان فيه تشبيها بعرفات .

وأما مسجد المصر(١٥٧) فقد اختلفوا فيه ، ففعله ابن عباس وعمرو بن حريث من الصحابة وطائفة من البصريين والمدنيين .

---

(١٥٥) جمع أفق ، والمراد به الأماكن الأخرى غير « عرفات » فى جميع بلاد المسلمين شرقا وغربا .

(١٥٦) إقامة « عرفات » بديلة .

(١٥٧) المصر : أى البلد . يقصد المساجد المختلفة غير تلك التى نشد إليها الرحال ، فقد تبين أن التعريف بمسجد النبى بدعة ، وكذلك التعريف ببيت المقدس .

رفع الصوت عند الدعاء :

ويكره رفع الصوت عند الدعاء . قال الحسن رحمه الله : إن رفع الصوت عند الدعاء لبدعة وإن مدّ الأيدى بالدعاء لبدعة ، وإن اجتماع الرجال والنساء لبدعة وتعريف ابن عباس أنه صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران وفسرهما حرفاً حرفاً ، فتعريفه كان على هذا الوجه : فَسَّر للناس القرآن واجتمعوا إليه لسماع العلم ، فقيل : عرف ابن عباس بالبصرة لاجتماع الناس إليه فأقر التعريف فى الأمصار يجتمعون يوم عرفه ، قال الأثرم : سألت أحمد بن حنبل رحمه الله عن التعريف فى الأمصار ، يجتمعون يوم عرفة فقال : أرجو أن لا يكون به بأس ، قد فعله غير واحد كالحسن وبكر وثابت ومحمد بن واسع ، كانوا يشهدون المسجد يوم عرفة . وفى رواية : قال أحمد : لا بأس به إنما هو دعاء وذكر الله . فقيل له : تفعله أنت ؟ قال لا .





فصل

بدع يوم عاشوراء :

ومن الأحداث المنكرة ما يفعله بعض أهل الأهواء فى يوم عاشوراء من التعطش والحزن والتفجع ، وغير ذلك من الأمور المنكرة المحدثة ، التى لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ، ولا أحد من السلف ، لا من أهل البيت ولا غيرهم . وإنما كانت هذه مصيبة وقعت فى الزمن الأول بقتل الحسين بن على رضى الله عنهما .

يجب أن تتلقى بما تتلقى به المصائب ، من الاسترجاع[١٥٨] المشروع ، والصبر الجميل ، دون الجزع والتفجع[١٥٩] وتعذيب النفوس ، الذى أحدثه أهل البدع فى هذا اليوم ، وضموا إلى ذلك من الكذب والوقيعة فى الصحابة البُرآء أموراً أخرى مما يكرهه الله ورسوله .

وقد روى ابن ماجة عن الحسين بن على رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : **«من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فأحدث لها استرجاعاً وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب»** .

وأمّا اتخاذ أيام المصائب مآتم : فهذا ليس من دين الإسلام ، بل هو إلى الجاهلية أقرب . ثم فوتوا على أنفسهم صوم هذا اليوم مع ما فيه من الفضل . وأحدث بعض الناس فى هذا اليوم أشياء مبتدعة : من الاغتسال ، والاختضاب[١٦٠] ، والكحل ، والمصافحة . وهذه أمور منكرة ، مبتدعة ،

---

(١٥٨) يعنى أنه يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(١٥٩) التفجع : هو التألم للمصيبة ، ويقال : تفجع لفلان . والفاجعة : المصيبة المؤلمة توجع الانسان بفقد ما يعز عليه من مال أو حميم .

(١٦٠) بالحنّاء وغيرها .

مستندها حديث مكذوب على رسول الله ﷺ . وإنما السنة صوم هذا اليوم لا غير[١٦١] . وقد روى فى فضل التوسعة فيه على العيال حديث ضعيف ، قد يكون سببه الغلو فى تعظيمه من بعض النواحى لمقابلة الرافضة ، فإن الشيطان يريد أن يحرف الخلق عن الصراط المستقيم ، ولا يبالى إلى أى الجهتين صاروا ، فينبغى للمبتدعين اجتناب المحدثات بالأصالة .



(١٦١) وهذا باتفاق العلماء . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « قدم النبى ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله عز وجل بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى » زاد مسلم فى روايته شكراً لله تعالى فنحن نصومه . وعند البخارى فى الهجرة « ونحن نصومه تعظيماً له » قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه . متفق عليه .



فصـــــل

قراءة سورة الأنعام فى صلاة التراويح

ومن البدع قراءة :

سورة الأنعام فى ركعة صلاة التراويح ، ويروون فى ذلك حديثاً لا أصل له عن ابن عباس عن أبى بن كعب رضى الله عنهما عن النبى ﷺ ، قال : « **أنزلت سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك بالتسبيح والتحميد** » . وهذا الحديث إسناده ضعيف مظلم ، فاغتر بذلك من سمعه من عوام المصلين . ثم لو صح هذا الحديث لم يكن فيه دلالة على استحباب قراءتها فى ركعة .

فقراءتها فى ركعة واحدة بدعة من وجوه .

أحدها : تخصيص ذلك بسورة الأنعام دون غيرها ، فيوهم أن ذلك سنة فيها دون غيرها ، والأمر بخلاف ذلك .

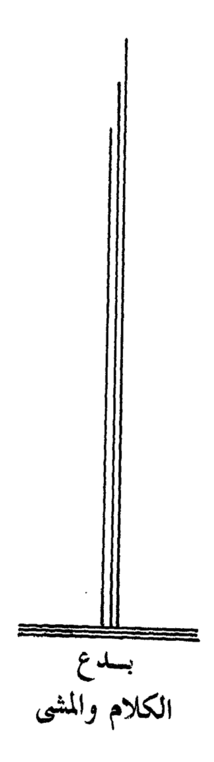
والثانى : تخصيص ذلك بصلاة التراويح دون غيرها .

والثالث : ما فيه من التطويل على المؤمنين ، لاسيما على من يجهل ذلك من عادتهم ، فيقلق ويضجر ويسخط ويكره العبادة .

والرابع : مافيه من مخالفة السنة من تقليل القراءة فى الركعة الثانية عن الأولى . وقد عكس صاحب هذه البدعة قضية ذلك ، وخالف الشريعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وابتدع بعضهم بدعة أخرى وهى : جمع آيات سجدات القرآن عقيب ختم القرآن فى صلاة التراويح فى الركعة الأخيرة فيسجد بالمأمومين جميعاً .





بـدع
الكلام والمشى

فصــل
التماوت فى الكلام والمشى

وان مما ابتدع واستميل به قلوب العوام والجهال : التماوت فى الكلام والمشى ، حتى صار ذلك شعاراً لمن يريد أن يظن به النسك والتورع .

صفة الرسول ﷺ وأصحابه فى الكلام والمشى :

فيعلم أن الدين بخلاف ذلك ، وهو ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه ، ثم السلف الصالح ، كما سنورده من أخبارهم فى ذلك وصفاتهم فى حركاتهم وسكناتهم ، فقد كان سيد الأولين والآخرين إذا مشى يقلع من صَبَبٍ(١٦٢) ، وفى بسنن ابى داود عن أنس ، قال : كان النبى ﷺ إذا مشى كأنما يهوى فى صوب . وفى رواية كان إذا مشى يقلع . وفى رواية : اذا زال زال قلعاً . والمعنى : أنه كان يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً بقوة ، لا كمن يمشى اختيالا ويُقَارِبُ خطاه تنعماً .

---

(١٦٢) المقصود أنه لم يكن يبطىء ولم يكن يعجل ، وكأنه ينحدر من ارتفاع ، وعن علىّ رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ « إذا مشى تكفّأ تكفؤًا كأنما ينحطُ من صَبَب » رواه الترمذى وغيره . والتكفّوّ الميل إلى سَنَن المشى ، والصَّبَب : المكان المنحدر .

وعن أبى هريرة : « إذا وطىء بقدمه وطىء بكُلِّها » .

وعنه : « ما رأيت أحداً أسرع فى مشيه من رسول الله ﷺ ــ كأنما الأرض تُطْوى له ــ إنا لَنُجهدُ أنفسنا ، وهو غير مُكْترِث » رواه الترمذى .

وروى انه ﷺ إذا مشى مجتمعا اى قوىّ الأعضاء غير مسترخ » .

وعن على رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ « إذا مَشَى تقلّع » .

وقال أبو هالة : إذا زال زال تَقَلّعا يخطو تَكَفيا ويمشى هونا دريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب » . قال ابن القيم : التقلّع : الارتفاع عن الأرض بجملته كحال المنحط فى الصبب ، وهى مِشْية أولى العزم والشجاعة ، وهى أعدل المشيات وأروحها للأعضاء .

وأما مشيه ﷺ مع أصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول : « خلُّوا ظهرى للملائكة » . « الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية » .

والصَّبَبُ : تَّصَبُّ نهر أو طريق فى حُدُورٍ ، فهو المكان المنحدر .

وجاء فى صفته ﷺ : أنه كان يمشى هوناً . قال ابن الأنبارى : معناه كان يميل فى مشيته كما يميل الغصن إذا حركه الرياح ، الهون معناه الرفق والتثبت ، وهو معنى قوله : ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾[١٦٣] والمحمود من ذلك ترك العجلة المفرطة ، وترك التكاسل والتثبيط والتماوت ، ولكن بين ذلك .

وفى كتاب (شرح السنة) عن ابن عباس رضى الله عنه إذا مشى مشى مشياً مجتمعاً يعرف أنه ليس بمشى تماجن[١٦٤] ولا كسلان .

وروى عن الشفاء بنت عبد الله أنها رأت فتياناً يقتصدون فى المشى رويداً ، فقالت : ما هؤلاء ؟ فقالوا : نُساك . فقالت : كان والله عمر رضى الله عنه إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أو جع ، وهو الناسك حقاً .

وعن عبيد الله بن عبد الله قال : لم يكن البر يعرف فى عمر وابنه حتى يقولا أو يفعلا . قال يزيد بن هارون أخبر عبيد الله بن عبد الله بن أويس المدنى عن الزهرى عن سالم نحوه . قال : قلت : يا أبا بكر ما تعنى بذلك ؟ قال : لم يكونا موحشين[١٦٥] ولا متماوتين .

وفى كتاب (الكامل) لأبى العباس المبرد[١٦٦] قال : ويروى أن عائشة رضى الله عنها نظرت إلى رجل متماوت ، فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : أحد القراء . فقالت : قد كان عمر قارئاً ، فكان إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع .

قال : ويروى أن عمر نظر الى رجل يظهر النسك ، يتماوت فى مشيته ، فخفقه بالدرة ، وقال : لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله .

---

(١٦٣) الفرقان : ٦٣ .

(١٦٤) الاختيال والعُجب فى قلة حياء .

(١٦٥) يشعر من يلقاهما بالوحشة وعدم الالفة . وفى نسخة أخرى : لم يكونا مؤنسين .

(١٦٦) المبرد ، محمد بن يزيد : (٨٢٦ — ٨٩٨) ، نحوى وأديب . ولد بالبصرة ، ومات ببغداد . أشهر مؤلفاته « الكامل » الذى يعد أحد أصولى الادب القديمة ، ويمثل منهج اللغويين القدماء ، والمعارف العربية المختلفة فى عصره ، و « المقتضب » فى النحو ، و « معانى القرآن » ، و « الرد على سيبويه » . عنفت الخصومة بينه وبين ثعلب رأس الكوفيين فى عصره : ويظن أن هذه الخصومة أصل التفرقة بين مدرستى النحو البصرية والكوفية ، إذ كان الدارسون قبلهما يأخذون عن المدرستين دون حرج .

وروى الإمام أحمد بإسناده إلى أبى الدرداء ، قال : أستعيذ بالله من خشوع النفاق . قال : أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع .

وقال سفيان الثورى : سيأتى أقوام يخشعون رياء وسمعة ، وهم كالذئاب الضوارى(١٦٧) ، غايتهم الدنيا ، وجمع الدرهم من الحلال والحرام .

وقال أبو حاتم الرازى : كان أحمد بن حنبل إذا رأيته تعلم أنه لا يظهر النسك ، ورأيت عليه نعلا لا يشبه نعل(١٦٨) القراء ، له رأس كبير معقف(١٦٩) ، وشراكه(١٧٠) مشبك ، كأنه اشترى له من السوق ، ورأيت عليه إزارا وجبة برد مخططة . قال عبد الرحمن : أراد بهذا — والله أعلم ترك التزين بزى القراء ، وإزالته عن نفسه ما يشهر به .

وقال الإمام أبو عبد محمد بن ابراهيم البوشيخى : ما رأيت أحداً فى عصر أحمد أكثر منه ديانة وصيانة وأبعد من التماوت .

وقال المروزى : رأيت أبا عبد الله إذا كان فى البيت كان عامة جلوسه متربعاً خاشعاً ، وإذا كان خارج بيته لم يبن منه شدة خشوع كما كان فى بيته .

التحذير من التماوت :

وقال البويطى صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه : احذر كل متماوت ، فإنه مُلَّد . (هو مُفْعِل من اللدد وهى الخصومة) قال الله تعالى : ﴿ **وهو ألد الخصام**﴾(١٧١) وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : إذا أعجبك حسن عمل امرىء فقل : ﴿**اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله**

---

(١٦٧) الضوارى : جمع ضارٍ . و الضارى) من الجوارح والكلاب : المدرب على الصيد .و — من السباع : المولع بأكل اللحم .و — من الماشية : المعتاد رعى زروع الناس .

(١٦٨) القراء : جمع قارىء وهو الناسك المتعبد .

(١٦٩) والمعقف ما فيه ميل والتواء .

(١٧٠) شراك النعل : هو السَّير من الجلد ونحوه الذى يكون على ظهر القدم .

(١٧١) البقرة : ٢٠٤ .

والمؤمنون﴾(١٧٢) ولا يستخفنك أحد (١٧٣) .

وعن محمد بن أبى عائشة قال : كان يقال لا تكن ذا وجهين وذا لسانين ، تظهر للناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر .

وسأل رجل الكتانى ، فقال له : أوصنى ، فقال له : كن كما ترى الناس (أو قل : الناس كما تكون) .

وقال المدائنى : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو واليه بمصر : «**رفع إلىّ أنك تبكى فى مجلسك ، فإذا جلست فكن كسائر الناس ، ولا تبك**» وأخرج الحافظ أبو القاسم فى تاريخه ، عن مكحول ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لا تكونوا عيّابين ، ولا مداحين**(١٧٤) ، **ولا طعانين ، ولا متماوتين**» .

وأخرج أيضا فى ترجمته بإسناده عن عبد الرحمن بن مهدى قال : قلت لابن المبارك : إبراهيم ابن أدهم ممّن سمع ؟ قال : قد سمع من الناس ، ولكن له فضل فى نفسه ، صاحب سرائر وما رأيته يظهر تسبيحاً ، ولا شيئا من الخير ، ولا أكل مع قوم طعاماً إلا كان آخر من يرفع يده عن الطعام » .

وأخرج أيضا عن عاصم بن كليب عن أبيه ، قال : لقيت عبد الرحمن الأسود وهو يمشى بجنب الحائط ، فقلت له : مالك ؟ فقال : أكره أن يستقبلنى إنسان فيسألنى عن شيء . فقلت : لكن عمر كان شديد الوطء على الارض له صوت جهورى .

وروى البيهقى عن ابن المبارك رحمه الله قال : إنه ليعجبنى من القراء كل طَلْقٍ مِضْحاكٍ ، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمنّ عليك بسلامه أو بعلمه ، فلا أكثر الله فى القُرَّاء مثله .

وهذه الطلاقة التى أشار إليها هى التى كانت تعرف من أخلاق رسول الله

---

(١٧٢) التوبة : ١٠٥ .

(١٧٣) يُزِيلَنَّك عن الحق . وفى القرآن الكريم ﴿ فاستخفّ قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ [الزخرف : ٥٤] أى فقبلوا ذلك منه .

(١٧٤) مداحين مقابلة العيابين .

ﷺ ، وكانت هى الغالب على أصحابه ، وسادات المتقدمين من الأئمة الجامعين بين العلم والعمل : كسعيد بن المسيب إمام أهل المدينة وسيد التابعين فى وقته مع حسومته المعروفة فى أمر الله تعالى ، وكعامر الشعبى(١٧٥) من أئمة الكوفة ، وابن سيرين من أئمة البصرة ، والأوزاعى من أئمة الشام ، والليث ابن سعد من أئمة مصر ، وغيرهم رضى الله عنهم . فقد عرف ذلك من وقف على أخبارهم ، وهى طريقة الإمام الشافعى رحمه الله .

قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله : إذا سكن الخوف القلب أوجب الخشوع فى الظاهر ، ولا يملك صاحبه فتراه مطرقاً متأدبا متذللا . وكانوا رضى الله عنهم يجتهدون فى ستر ما يظهر من ذلك ، فكان محمد بن سيرين رحمه الله يبكى الليل ويضحك بين الناس فى النهار .

ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام ، فإن ذلك يؤذيهم ، فقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه(١٧٦) القلوب .

ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم(١٧٧) إذا انفسح للمباح ؛ فينبغى أن يلقاهم بالصمت والأدب . وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكى وطأطأة الرأس ليرى بعين الزهد . وربما قيل له (**ادع لنا**) فتهيأ للدعاء وكأنه مستنزل(١٧٨) الإجابة . وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعى : أنه قيل له (**ادع لنا**) فكرة ذلك ، وكان من الخائفين — ومن جملة الخوف الحرص على شدة الحياء والذل فلم يرفع رأسه إلى السماء . وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ فقد كان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء ، وفيه دليل على استحباب النظر الى السماء لأجل الاعتبار بآياتها ، وقال تعالى : ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها وما لها**

(١٧٥) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار ، الشعبى الحميرى ، أبو عمرو : راوية ، من التابعين ، يضرب المثل بحفظه . ولد ونشأ ومات بالكوفة (١٩ — ١٠٣ هـ = ٦٤٠ — ٧٢١ م) ، اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم . وهو من رجال الحديث الثقات ، استقضاه عمر بن عبد العزيز . فكان فقيهاً ، شاعراً .

(١٧٦) تمجه : تكرهه وتنفر منه .

(١٧٧) لا يلتمسون له العذر .

(١٧٨) مُستَنزل الإجابة عامل على نزولها ، أو موضع نزولها إذا نطقناها بفتح الزاى : مستنزَل .

من فروج﴾(١٧٩) . وقال تعالى : ﴿**قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون**﴾(١٨٠) .

وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحدقين(١٨١) ، ولا متماوتين ، وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحد منهم بشىء من أمر دينه دارت حماليق(١٨٢) عينيه كأنه مجنون .

وعن محمد بن عبد الله القرشى عن أبيه ، قال : نظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب نكس رأسه ، فقال : ياهذا ارفع رأسك ؛ فإن الخشوع لا يزيد على مافى القلب ؛ فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق .

وعن كهمس بن الحسن : أن رجلاً تنفس عند عمر كأنه يتحازن فلكزه(١٨٣) عمر (**أو قال : فلكمه**) .

وقد كان السلف يسترون أحوالهم وينصحون بترك التصنع .

---

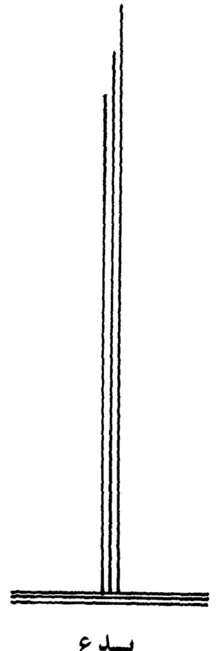
(١٧٩) ق : ٦ والمقصود بالفروج : الصُدوع والفتوق .

(١٨٠) يونس : ١٠١ .

(١٨١) يحدقون النظر فيما حولهم .

(١٨٢) يقال : حَمْلق أى فتح عينيه ونظر شديداً . وحملاق العين باطن أجفانها والجمع حماليق .

(١٨٣) لكزه : ضربه بجُمع كفه فى صدره .



بـدع
التبتل والانصراف عن الدنيا



فصـــل
تـرك الـزواج بدعــة

ومن الأمور المبتدعة : الانفراد ، وترك النكاح ، رغبة عنه[١٨٤] وذماً له .

حكم الزواج :

اعلم رحمك الله أن النكاح مع خوف العنت[١٨٥] واجب ، ومن غير خوف العنت سنة ، عند جمهور العلماء ، ومذهب أبى حنيفه والإمام أحمد رضى الله عنهما أنه أفضل من جميع النوافل ؛ لأنه سبب وجود الولد .

الترغيب فى الزواج :

وقد قال ﷺ : «**تناكحوا تناسلوا**»[١٨٦] .

وقال : «**النكاح سنتى ، فمن رغب عن سنتى فليس منى**»[١٨٧] وعن سعد بن أبى وقاص ، قال : ردَّ النبى ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا[١٨٨] .

---

(١٨٤) رغب عن الشيء زهد فيه وتركه ، أما رغب فيه فمعناها أقبل عليه وأحبه .

(١٨٥) يشير الى قول الله تعالى : ﴿ ذلك لمن خشى العنت منكم ﴾ قالوا : ان العنت فى الآية مقصود به الزنا . وقيل الضرر فى دينه وبدنه ؛ لأن أصل العنت « الضر » .

(١٨٦) أخرجه عبد الرزاق عن سعيد بن أبى هلال بلفظ : « تناكحو تكثروا » انظر ضعيف الجامع الصغير حديث ٢٤٨٣ .

(١٨٧) متفق على اخره : « من رغب عن سنتى فليس منى » ، وأوله « النكاح سنتى » أخرجه أبو يعْلَى فى مسنده .

(١٨٨) أخرجه أحمد فى المسند ، والدارمى فى السنن. ومعنى لاختصينا : لأجرينا « عملية » تقطع بها الناحية الجنسية لنتفرغ للعبادة وهو ما يسمى « بالخصاء » والوجاء .

الترهيب من التبتل :

وعن أنس رضى الله عنه أن نفرا من أصحاب النبى ﷺ سألوا أزواج النبى ﷺ عن عمله فى السر ، فأخبرتهم ، فقال بعضهم : أما أنا فلا أنام على فراش ، وقال بعضهم : لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : أما أنا لاأتزوج النساء ، وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر . فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « **مابال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، وأتزوج النساء ، وآكل اللحم ؛ فمن رغب عن سنتى فليس منى** » . متفق عليه .

وعن محمد بن مسلمة ، قال : شدّاد بن أوس : زوجونى فإن رسول الله ﷺ أوصانى أن لا ألقى الله عز وجل عزباً .

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكافة بن بشر التميمى ، فقال رسول الله ﷺ : « **ياعكافة هل من زوجة ؟** » ، قال : لا ، قال : « **ولا جارية ؟** » ، قال : لا ، قال : « **وأنت موسر ؟** » ، قال : نعم ، قال : « **إذاً أنت من إخوان الشياطين ، لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم ، إن سنتنا النكاح ، شراركم عزابكم ما للشيطان من سلاح أبلغ فى الصالحين من النساء** »(١٨٩) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال لعن رسول الله ﷺ مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء ، والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال ، والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج ، والمتبتلات من النساء اللاتى يقلن ذلك(١٩٠) .

وقال أبو بكر المروزى : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول : ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شىء ، النبى ﷺ تزوج أربع عشرة ومات عن تسع ، لو كان بشر الحافى تزوج كان تم أمره كله . ولو ترك الناس

---

(١٨٩) أخرجه أحمد بنحوه فى المسند . وفى مختصر المقاصد الحسنة حديث رقم ٥٤٤ — « شراركم عزابكم » ضعيف . انظر المقاصد ٢٥١ ، والدرر برقم ٢٦٨ ، والموضوعات ٢٥٨/٢

(١٩٠) أخرجه أحمد أيضا فى المسند .

النكاح لم يغز ، ولم يحج ، ولم يكن كذا . وقد كان رسول الله ﷺ يصبح وما عند أحد من أهله شيء ، وقد كان يختار النكاح ، ويحث عليه ، وينهى عن التبتل . فمن رغب عن فعل النبي ﷺ فهو على غير الحق . ويعقوب عليه السلام فى حزنه تزوج وولد له .

وقد قال النبى ﷺ : « **حبِّب إلىَّ من دنياكم ثلاث : النساء ، والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة** »(١٩١) .

وقال إبراهيم بن أدهم : لبكاء الصبى بين يدى أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا أين يلحق المتعبد العزب من صاحب العيال ؟ .

فاعلم رحمك الله أن من ترك النكاح مع الحاجة إليه ، فقد خاطر ببدنه ودينه ، وإن لم يكن به حاجة فقد فاتته الفضيلة . وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « **دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك** »(١٩٢) .

فإن قيل النكاح يوجب الميل إلى الدنيا ، قلنا : هذا خلاف الشريعة ، فإن النبى ﷺ إمام الزاهدين ، كان أكثر هذه الأمة نساء ، وهو الذى قال : « **تناكحوا تكاثروا ؛ فإنى أباهى بكم الأمم** »(١٩٣) . فأمر به ، والأمر يقتضى الوجوب . فأما تركه ليقال : (زاهد) ، والعوام تعظم هذا ، فيقولون : ما عرف امرأة قط ، فهذه رهبانية تخالف الشريعة .

دفع شبهة :

وقال بعضهم : ينبغى أن لا يشغل المرء قلبه بالتزويج ، فإنه يشغله عن الله ،

---

(١٩١) أخرجه أحمد ، والنسائى ، وابن سعد ، وغيرهم عن أنس . جمع الجوامع : الأول ص ٤٩٩ . وقال فى مختصر المقاصد الحسنة ـــ ٣٥٥ ـــ صحيح وزيادة « ثلاث » باطل لا أصل له . انظر المقاصد ص ١٨٩ .

(١٩٢) أخرجه مسلم .

(١٩٣) سبق تخريجه .

فيرى هذا أن الأنس الطبيعي بالزوجة ينافى أنس القلوب بطاعة الله . وليس هذا كذلك ، والله سبحانه وتعالى قد منَّ على الخلق بقوله : **﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**[١٩٤] .

وفى الحديث الصحيح ، عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : **«هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك»**[١٩٥] ، أى هلا تزوجت بكراً لما أخبره أنه تزوج ثيباً ، وما كان يدله على ما يقطع أنسه بالله .

أما ترى أنَّه ﷺ كان ينبسط إلى نسائه ويسابق زوجته عائشة ، أكان هذا خارجاً عن الأنس بالله ؟ هذه جهالات بالعلم .

وبعضهم يقول : الذى يريد الولد أحمق ، فلا نال الدنيا ولا الاخرة ، إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه ، وإذا أراد أن يتعبد شغله أيضاً — غلط عظيم لأنه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الخلق اتصال دوامها إلى أن ينقضى أجلها ، حثَّ الله تعالى الآدمى على ذلك ، تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة ، وتارة من باب الشرع بقوله : **﴿وأنكحوا الايامى منكم﴾**[١٩٦] ، وقول الرسول ﷺ : **«تناكحوا تناسلوا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط»**[١٩٧] .

وقد طلب الأنبياء الأولاد ، وتسبب الصالحون الى وجودهم . ورب جماع حدث منه ولد صالح كالشافعى وأحمد كانا خيرا من عبادة ألف سنة . وقد جاء الخبر بإثابة الجماع بقوله صلى الله عليه وسلم : **«وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته وله فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو**

---

(١٩٤) الروم : ٢١

(١٩٥) رواه البخارى فى النكاح ومسلم فى الرضاع وأبو داود فى النكاح والنسائى فى النكاح وابن ماجه فى النكاح والدارمى فى النكاح .

(١٩٦) النور : ٣٢ .

(١٩٧) رواه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عمر بلفظ « تناكحوا تكثروا ، فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة » دون قوله : « حتى بالسقط » وإسناده ضعيف كما قال ، الحافظ العراق . وذكره بهذه الزيادة البيهقى فى « المعرفة » عن الشافعى أنه بلغه . انظر كتاب النكاح من إحياء علوم الدين للغزالى .

وضعها فى الحرام كان عليه وزر ، فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر »(198) .

وكذلك الأجر والثواب فى النفقة على الزوجة والأولاد ، وقد يموت له ولد فيبقى له ذخراً وأجراً كما قال ﷺ : **«إذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون : نعم فيقول الله تعالى : فماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع (أى قال الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون) ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت**(199)**الحمد »** .

وإما أن يخلفه بعده فيلحقه ببركة دعائه كما فى الصحيح أن رسول ﷺ قال : **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له»** . فمن أعرض عن طلب الأولاد خالف السنة ، وعُدِم هذا الفضل والثواب الجزيل .



(198) أخرجه مسلم فى الزكاة ، وأبو داود فى التطوع والأدب ، وأحمد فى المسند .

(199) أخرجه أحمد ، والترمذى ، وقال : حسن غريب ، وابن حبان ، وابن السنى عمل اليوم والليلة . جمع الجوامع : الأول ، ص ٨٨ .

فصـــل
الاشتغال بنوافل العبادات وترك التعلم

ومن الأمور المحدثة : الاشتغال بنوافل العبادات مع الجهل وترك حمل العلم(٢٠٠) . وهذا خطأ يدخل على العبد منه آفات كثيرة مخالفة للشريعة . وقد قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿**وقل رب زدنى علما**﴾(٢٠١) ، فأمره بطلب الزيادة منه ، وقال تعالى مخبراً عن موسى فى قوله للخضر عليهما السلام : ﴿**هل أتبعك على أن تُعَلّمَنِ مما علمت رشداً**﴾(٢٠٢) . هذا مع ما أعطوه من العلم البارع ، وما لهم من المدد من الله تعالى وقال تعالى : ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾(٢٠٣) .

فضل العالم على العابد :

وروى الترمذى عن أبى أُمامة رضى الله عنه قال : ذكر لرسول الله ﷺ رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم ؛ فقال : «**فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم**» ثم قال رسول الله ﷺ : «**إن الله وملائكته ، وأهل السموات والأرضين ، حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحيتان فى البحر ، يصلون على معلم الناس الخير**» .

---

(٢٠٠) عد الإمام الغزالى فى بحثه الرائع «الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين» طبع مكتبة القرآن وبتحقيق عبد اللطيف عاشور من يفعل ذلك من المغرورين فذكر أن هذه الفرقة حصلت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض فتارة يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل ، وأمثال هذه النوافل ، فلا يجد لصلاة الفريضة لذة ، ولا خير من الله تعالى لشدة حرصه على المبادرة فى أول الوقت وينسى قوله ﷺ «ما تقرب المتقربون بأفضل ما افترضه الله عليه» .

(٢٠١) طه : ١١٤ .

(٢٠٢) الكهف ٦٦ .

(٢٠٣) التوبة : ١٢٢

وروى الترمذى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «**فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد**» .

وروى أيضاً عن الفضيل بن عياض ، قال : عالم عامل مُعلم يدعى كبيراً ، فى ملكوت(٢٠٤) السموات .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**تجدون الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا**» .

وفى الصحيحين أيضا عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين**» .

وروى الترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه : «**الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها**» .

تغلب العالم على إبليس :

واعلم أن العالم لا يدخل عليه إبليس إلا مسارقة ، وأما المتعبدون بلا علم فإنه يلبس عليهم فى فنون التعبد أشياء يعتقدونها فضيلة أو أفضل من غيرها وهى بخلاف ما يظنون ، منها : إيثارهم التعبد على العلم ، والعلم أفضل من نوافل العبادات ؛ فيرون أن المقصود من العلم العمل وما فهموا من العام إلا عمل الجوارح ، وما علموا أن العمل عمل القلب ، وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح .

قال مطرف بن عبد الله : فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف ابن أسباط : باب من العلم يتعلمه العبد خير من سيف غزاة .

وقال المعافى بن عمران : كتابة حديث واحد أحب إلىّ من صلاة ليلة .

---

(٢٠٤) الملكوت هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس . وهو يختلف عن عالم الملك الذى هو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية مثل الكرسى والخشب وخلافه .

التمييز بين الحقيقة والشريعة :

ومنهم من فرق بين الحقيقة والشريعة[٢٠٥] ، وأعرضوا عن ظواهر الشرع ، وهذا غلط ؛ لأن الشريعة كلها حقائق ، قال الحسن بن سالم جاء رجل إلى سهل بن عبد الله التسترى وبيده محبرة وكتاب ، فقال لسهل : أحببت أن أكتب كتابا ينفعنى الله به ، فقال : اكتب إن استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة فافعل ، فقال : ياأبا محمد ، أفدنى فائدة ، فقال : الدنيا كلها جهل إلا ما كان علما ، والعلم كله حجة إلا ما كان عملاً ، والعمل موقوف إلا ما كان على السنة ، وتقوم السنة على التقوى .

وقال . أيضا : احفظ السواد على البياض ، فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق .

وفى رواية : إلا خرج إلى الزندقة[٢٠٦] .

وقال سهل أيضا : سمعت الجراح بن عبد الله يقول : ما طريق إلى الله عز وجل أفضل من العلم ، فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى ظلمات الجهالة أربعين صباحاً .

وقال أبو سعيد الخراز : كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل .

وقال أبو بكر الدقاق : كنت ماراً فى تية بنى إسرائيل ، فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة ، فهتف بى هاتف من تحت شجرة : كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر .

وقال أبو عقيل : جعلت الصوفية الشريعة اسماً وقالوا : المراد منها الحقيقة ، قال : وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم ، فما الحقيقة بعد هذا سوى واقع فى النفوس من إلقاء الشياطين ؟

وكل من رام الحقيقة من غير الشريعة فمغرور ومخدوع ، ومنها أن يدخل

---

(٢٠٥) الشريعة : هى الائتمار بالتزام العبودية ، وقيل : الشريعة ، هى الطريق فى الدين .

وببساطة : ما وضعه الحق المصالح الخلق وتعبداتهم . وكل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر كما قال أبو بكر الدقاق .

(٢٠٦) الزندقة : الكفر باطنا مع التظاهر بالإيمان .

عليهم الشيطان لجهلهم ، فيقول لهم : اعلموا أنكم لن تنجوا فى الآخرة إلا بكثرة العمل ، وترك الدنيا ، وترك الاشتغال . فيخرج أحدهم على وجهه ويفارق الجمعة والجماعة والعلم . وربما كانت له عائلة أو والدة فبكت لفراقه . وربما أنه لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغى . وهذا لقلة علمه ورضاه عن نفسه بما يعلمه . وهذا خطأ عظيم فإن مفارقة الجمعة والجماعة حرام وخسران ظاهر ، وتعلم العلم فرض ، والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل ، وتضييع المال منهى عنه ؛ والدنيا لا تذم لذاتها ، وكيف يذم ما منّ الله تعالى به وما هو ضرورة فى بقاء الآدمى وسبب فى الإعانة على تحصيل العلم والعبادة ، وإنما المذموم على طلب الدنيا أخذ الشيء من غير حلم ، وتناوله على وجه السرف ، لا على مقدار الحاجة ، وتصرف فيه بمقتضى رعونات النفس(٢٠٧) ، لا بإذن الشرع . والخروج إلى الجبال منفردا منهى عنه ، قال بعض السلف حرجنا الى جبل نتعبد فيه فجاءنا سفيان الثورى ، فردّنا .



(٢٠٧) الرعونة : الحمق وسوء التصرف والخضوع للهوى .

فصــل
تعذيب النفس وترك المباحات

ومن الأمور التى يدخل الشيطان عليهم : ترك المباحات ، وتعذيب النفس بقلة المطعم حتى يَيْبَسَ البدن ، مع لبس الصوف ، ويمنعها الماء البارد . وما هذه طريقة رسول الله ﷺ ولا طريقة أصحابه وأتباعهم ، فقد كانوا يجوعون إذا لم يجدوا ، فإذا وجدوا أكلوا .

وكان رسول الله ﷺ ، وهو أول الزاهدين ، يأكل اللحم ويحبه ، ويأكل الدجاج ، ويحب الحلو والعسل ، ويستعذب الماء البارد ؛ فإن الماء الحار يؤذى المعدة ولا يروى .

ويُروى أن رجلاً قال : أنا لا آكل الخبيص(٢٠٨) لأنى لا أقوم بشكره ، فقال الحسن البصرى : هذا رجل أحمق ! أتراه يقوم بشكر الماء البارد ؟ .

وكان سفيان الثورى : إذا سافر حمل معه الحمل المشوى والفالوذج(٢٠٩) .

وينبغى للانسان أن يعلم أن نفسه مطية ولابد من الرفق بها ليصل إلى المقصود . وقد قال النبى ﷺ : «**وإن لنفسك عليك حقاً**»(٢١٠) . وإذا كان لها حق فليأخذ لها ما يصلحها ، وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط فى تناول الشهوة ؛ فإن ذلك يؤذى البدن والدين . وليأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس . ومن كفها عن التصرف على مقتضى ما وضع فى طبعها فيما يصلحها فقد آذاها إلا أنه يكفها عن الشبع المفرط والشره وما يخاف عاقبته ، فإن ذلك يفسدها ، فأما الكف المطلق فخطأ ، ولا يلتفت إلى غير هذا فإن اتباع الشارع

---

(٢٠٨) الخبيص : الحلواء المخبوصة (المخلوطة) من التمر والسمن ، والجمع : أخبصة .

(٢٠٩) الفالوذج : حَلْواء تعمل من الدقيق والماء والعسل .

(٢١٠) أخرجه البخارى ، فى الصوم ، والنكاح والتهجد ؛ ومسلم فى الصيام ؛ وأبو داود فى الصوم ، وابن ماجه فى النكاح .

صلى الله عليه وسلم وصحابته أولى ولم يكونوا يتكلفون شيئاً ، إن حضر طعام شهى أكلوا وحمدوا الله تعالى ، وإن لم يحضر شيء صبروا .

وكان ابن عقيل يقول : **ما أعجب أموركم فى التدين ، إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة بين جَرِّ أذيال ثياب المرح والصبا فى اللعب ، وبين إهمال الحقوق واطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد .**

وإنما ذمهم بالتعوذ بزوايا المساجد ؛ لأنهم تركوا طريق السلف من التصرف فيما يستعينون به على مصالحهم ، وما يعينون به أحوالهم وأهاليهم المحاويج ، وما يكف أنفسهم عن الناس . ولهم فى ذلك آفات أُخَرُ .

التكبر والاستعلاء :

منها : الكبر ، واحتقار الناس ، ومنها : أنه يخاف أن يقصروا فى خدمته بالدخول بينهم ، ومنها : حفظ ناموسه[٢١١] ورئاسته ؛ فإن مخالطة الناس تذهب بذلك . وهو يريد أن تبقى طراوة فكرة ، فتراه يحب أن يزار ولا يزور ، ويفرح بمجيء الناس إليه واجتماعهم على خدمته وتقبيل يده ، فيترك عيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، ويقال : هذه عادة فلان وإن كانت عادة تخالف الشريعة . وإن كان يحتاج إلى القوت ، ولم يكن عنده من يشترى له ، صبر على الجوع لئلا يخرج بنفسه لشراء ذلك ، فيضيع جاهه ، لمشيه بين العوام . ولو أنه خرج فاشترى حاجته لا نقطعت الشهرة ، ولكن فى باطنه حفظ الناموس ، وقد كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السوق ويشترى حاجته ويحملها بنفسه . وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى ، قال محمد ابن القاسم : زعم عبد الله بن حنظلة ، قال : مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حطب ، فقال له ناس : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله ؟ قال : أردت أن أدفع به الكبر ، وذلك أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر** »[٢١٢] . وكان

---

(٢١١) المراد سره وباطن أحواله .

(٢١٢) أخرجه مسلم ، عن ابن مسعود ، وتمامه : « قيل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ؟ ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

عادة السلف رضى الله عنهم التبذل فى شراء الحاجة وغيرها وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت تلك الأحوال والملابس .

ادعاء الزهد :

ومن الآفات أيضاً : أنه لو سئل أن يلبس ألين من ثوبه ما فعل لئلا ينكسر جاهه فى الزهد . ولو خرج لم يأكل والناس ينظرون إليه ويرونه ، ويحفظ نفسه عن التبسم ، فضلاً عن الضحك .

وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم ، ويهربون من المكان الذى يشار إليهم فيه ، وتراه يلبس الثوب المتخرق ولا يخيطه ، ويترك إصلاح عمامته ، وتسريح لحيته ؛ ليرى أن ما عنده من الدنيا خير .

فإن كان صادقاً سالماً من الرياء فليعلم أنه قد سلك به غير الجادة ؛ إذ ليست هذه طريقة رسول الله ﷺ ولا أصحابه ، فقد كان يسرح شعره ، وينظر فى المرآة ، ويدهن ، ويتطيب ، وهو أشغل الخلق بالآخرة . وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يخضبان بالحناء وَالكَتَم(٢١٣) ، وهما أخوف الصحابة وأزهدهم .

ومن ادعى رتبة تزيد على ألسنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه .

الصمت :

وتراه أيضاً يلزم الصمت الدائم ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صمت(٢١٤) يوم إلى الليل ، وقال أبو بكر رضى الله عنه للتى رآها نذرت أن تحج مصمته : **تكلمى فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية .**

الانعزال تكبراً :

وتراه منفرداً عن مخالطة أهله ، فيؤذيهم بقبح أخلاقه ، وزيادة انقباضه ، وقصده حفظ ناموسه . وقد كان رسول الله ﷺ يمزح ، ويلاعب الأطفال ،

---

(٢١٣) الكتَم والكتمان : نبت يخضب به الشعر ، ويصنع منه مداد الكتابة .

(٢١٤) أخرجه أبو داود فى كتاب الوصايا .

ويتحدث مع أزواجه ، وسابق مرة عائشة رضى الله عنهما ، إلى غير ذلك من الأخلاق الطيبة اللطيفة والانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة ، وربما ضيع هذا حقوق أهله مما هو فرض عليه. بنافلة غير ممدوحة .

الاعجاب بعمله :

وتراه معجبا بعمله ، فلو قيل له إنك من أوتاد الأرض ظن أن ذلك حق .

وتراه يرصد لظهور كرامته ، ولو دعا فى أمر لم يُستجب له فيه تذمر فى باطنه ، فكأنه أجير يطلب أجر عمله . ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك ، والمملوك لا يمنّ بعمله ، ولو نظر الى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر . فخاف من التقصير فيه عن النظر إليه كما كانت رابعة العدوية[٢١٥] رحمها الله تقول : **استغفر الله من قلة صدق فى قولى أستغفر الله من ذلك وقيل لها : هل عملت شيئاً ترين أنه يقبل منك ؟ فقالت : إن كان فمخافتى أن يرد علىّ[٢١٦] !**

لبس المرقعات ادعاء للزهد :

وتراه أيضاً لما سمع أن النبى ﷺ كان يرقع ثوبه[٢١٧] ، وأنه قال لعائشة : **«لاتستخلفى ثوباً حتى ترقعيه»**[٢١٨] وأن عمر رضى الله عنه كان فى ثوبه رقاع ، وأن أويس القرنى كان يلتقط الرقاع من المزابل ، ثم يغسلها ، ويرقعها ويلبسها . فاختار المرقعات فلبسها لذلك ، وقد أبعد ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يؤثرون[٢١٩] ، البذاذة ويعرضون عن زينة الدنيا ، وكان

---

(٢١٥) اسمها كما يورده ابن خلكان فى ترجمة لها أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية القيسية . ومعلوماتنا عن تاريخ حياتها قليلة ، وبعضها ذو طابع أسطورى . ولدت فى البصرة ، وكانت مولاة لال عتيك . وروى بعض المترجمين لها إنها أدركت الحسن البصرى ولكننا نميل إلى استبعاد ذلك لأن رابعة توفيت سنة ١٨٥ هـ ، والحسن البصرى توفى سنة ١١٠ هـ . ولما كانت قد عاشت كما يذكر المترجمون لها ثمانين عاماً ، فلا يعقل أن تكون قد أخذت عن الحسن البصرى وهى بنت خمس سنين أو نحوها . وهى مثل رائع من أمثلة الحياة الروحية فى الإسلام فى القرن الثانى الهجرى .

(٢١٦) البيان والتبيين : ص ١٧٠ .

(٢١٧) أخرجه أحمد فى مسنده .

(٢١٨) أخرجه الترمذى فى كتاب اللباس .

(٢١٩) البذاذة : سوء الحال وباذّ الهيئة : رثها . والبذبذة : التقشف .

أكثرهم يفعل ذلك بسبب الفقر كما روى عن مسيلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد الغزيز وعليه قميص وسخ ، فقال لامرأته فاطمة : اغسلى قميص أمير المؤمنين ، فقالت : والله ماله قميص غيره .

فأما إذا لم يكن هذا معرضاً عن الدنيا ، ولا زاهداً فيها ، ولا يختار البذاذة تواضعاً لله ، بل يفعل ذلك تصنعاً ومراءاة ، كان كاذباً » .

ومنهم من يعمد الى ثوبين وثلاثة ، كل واحد منها على لون ، فيجعلونها خرقاً ، ويلونونها ، حتى يصير بصورة الرقاع كما سلف . كذا ظنوا أتراهم ما علموا أن التصوف معنى لا صورة؟ قال : وهؤلاء يقصدون التحسن بالمرقعات . وأما المعنى فإن أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد . ومنهم من يلبس الصوف تحت الثياب ، ويلوح بكمه حتى يرى لباسه . وهذا لص ليلى . ومنهم من يلبس الصوف فوقها . وهذا لص نهارى مكشوف . ومنهم من يلبس الفوط الرقيقة وإن قميص أحدهم وعمامته بثمن خمسة أثواب من الحرير ، يصادقون الأمراء ويفارقون الفقراء كبراً وتعظيماً . وهذا قبيح جداً . وهذا الضرب مذموم فاحذروهم .

التحذير من هؤلاء الأدعياء :

وقد كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول : يا بنى إسرائيل مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى ؟! البسوا ثياب الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية .

قال أخزم : سمعت مالك بن دينار[٢٢٠] يقول : «إنكم فى زمان أشهب* لا يبصر زمانكم إلا البصير ، إنكم فى أهل زمان كثر تفاحشهم ، وانفتحت ألسنتهم فى أفواههم ، فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم فى شبهاتهم وشبكاتهم» .

(٢٢٠) مالك بن دينار البصرى ، أبو يحيى (.. — ١٣١ ﻫ = ... — ٧٤٨ م) : من رواة الحديث . كان ورعاً ، يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة . توفى فى البصرة . لمزيد من التفاصيل عنه انظر : وفيات الأعيان ١ : ٤٤٠ ، وحلية الأولياء ٢ : ٣٥٧ ، وفى تهذيب التهذيب ١٠ : ١٤ — ١٥ خلاف فى تاريخ وفاته . * اختلط فيه الحق بالباطل .

وقال محمد بن خفيف : قلت لرويم : أوصنى ، قال : هو بذل الروح ، ألا فلا تشتغل بترهات الصوفية .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى : سمعت أبى يقول : بلغنى أن رجلاً قال للشبلى : قد وجدت جماعة من أصحابك وهم فى الجامع ، فمضى فرآهم عليهم المرقعات والفوط ، فأنشأ يقول : وهذه البهرجة لا تخفى إلا على غبى فى الغاية .

كراهة لبس المرقعات :

ويكره لبس الفوطة والمرقعات من خمسة أوجه ، أحدهما أنه ليس من لباس السلف وإنما كانوا يرقعون للضرورة .

والثانى : أنه يتضمن ادعاء الفقر ، وقد أمر الإنسان أن يظهر نعمة الله عليه .

والثالث : أنه إظهار الزهد ، وقد أمرنا بالستر .

والرابع : أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ، ومن تشبه بقوم فهو منهم .

والخامس : أنه ثوب شهرة ، وفيه تفويت لفضيلة لباس البيض التى أمر بها الشارع .

النهى عن لباس الشهرة :

ونهى عن لباس الشهرة ، فقد روى الترمذى ، عن سمرة بن جندب رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال : **«البسوا الثياب البيض ؛ فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم»**[٢٢١] . وقال : حديث صحيح . وفى الباب عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما . وهذا الذى يستحبه أهل العلم . ولا تنكر لباس المصبغ لأن لبسه جائز ، وقد روى أنه كان يعجبه الحبرة[٢٢٢]

(٢٢١) أخرجه أبو داود الطيالسى ، وأحمد بن حنبل ، والترمذى ، وقال : حسن صحيح . والنسائى ، وابن ماجه ، وابن سعد ، والطبرانى ؛ عن سمرة بن جندب .

(٢٢٢) ضرْب من بُرود اليمن . ويقال : شاة مُحَبَّرة أى فى عينيها تحبير من سواد وبياض .

إنما المسنون البياض ، وأما الفوط والمرقعات ، فإنه لباس شهرة وقد نهى النبى ﷺ عن الشهرتين(٢٢٣) ، فقيل يارسول الله ، وما الشهرتان ؟ قال : «**رقة الثياب ، وغلظها ، ولينها ، وخشونتها ، وطولها ، وقصرها ؛ ولكن سداد بين ذلك واقتصاد**» .

وعن أبى جعفر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه**»(٢٢٤) .

وعن ابن عمر رضى الله عنه ، قال : «**من لبس ثوباً مشهوراً أذله الله يوم القيامة**»(٢٢٥) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : «**من ركب مشهوراً من الدواب ، أو لبس مشهوراً من الثياب ، أعرض الله عنه ما دام عليه**»(٢٢٦) .

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : «**من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**»(٢٢٧) .

وعن ابن عمر : أنه رأى على ابنه يوماً قباء(٢٢٨) فقال : **لا تلبس هذا ؛ فإن هذا ثوب شهرة** .

وعن بريدة رضى الله عنه ، قال : شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر فيمن صعد الثلمة(٢٢٩) ، فقال : حتى رأى مكانى ، ثم أتيت وعلىّ ثوب أحمر ، فما أعلم أنى ركبت فى الإسلام ذنباً أعظم من الشهرة .

وقال سفيان : كانوا يكرهون الشهرتين : الثياب الجياد التى يشتهر بها ، ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم ؛ والثياب الذى يحتقر فيها ويستذل . وقال معمر عاينت أيوب على طول قميصه فقال : الشهرة فيما مضى كانت فى

---

(٢٢٣) أخرجه أحمد وغيره . كنز العمال : ١٥/ ٣١٢ .

(٢٢٤) أخرجه ابن ماجه ، وسعيد بن منصور كنز العمال : ١٥ : ٣١٢ .

(٢٢٥) لم نقف عليه بهذا اللفظ .

(٢٢٦) أخرجه احمد ، عن ابن عمر .

(٢٢٧) أخرجه أحمد عن ابن عمر : كنز العمال : ٣١٢/١٥ .

(٢٢٨) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب . وهو فارسى معرب .

(٢٢٩) الثُلْمة : الموضع الذى قد انثلم ، ومعنى انثلم : انفتح أو حدثت فيه الثغرة .

الطول ، وهى اليوم فى تشميره .

وأما لباس الصوف ، فقد كان رسول الله ﷺ يلبسه فى بعض الأوقات(٢٣٠) ، ولم يكن لبسه شهرة عند العرب ، ولم يثبت فى فضل لبسه شىء .

والعدل فى اللباس وغيره أن يلبس ملابس بنى جنسه التى لا يتميز بها عنهم ، وتكون موافقة للسنة خالية من التزيين والشهرة وإظهار الزهد والرياء .

وروى أحمد بن منصور الهمدانى بإسناده عن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن الارض لتعج لربها من الذين يلبسون الصوف رياء»** .

وعن خالد بن شوب ، قال : شهدت الحسن وآتاه رجل يقال له (فرقد) وعليه كساء ، فأخذ الحسن بكسائه فهزه إليه ، وقال : يافرقد : إن البرّ ليس فى هذا الكساء ، وإنما البر ما وقر فى الصدر وصدقه العمل .

واعلم أن المذموم ما تهواه النفس ، ونهى عنه الشرع ، وكان على وجه الرياء والشهرة . وأما ما كان للدين وموافقة السنة كالتعطر ، وتسريح اللحية ، والنظر فى المرآة ، وتسوية العمامة ، وإظهار نعمة الله على الوجه المشروع ، ولباس البياض لموافقة السنة ، وسلوك الأمر الأوسط فى جميع شئونه ؛ فهو محمود ممدوح مأجور .

وجوب اتباع العلماء :

فاعرف ياأخى مرتبة العلماء فى الاتباع وحفظ الشريعة ، فهم ورثة الأنبياء ، فالعلماء أدلة الطريق ، والخلق وراءهم . وفى الصحيحين ، من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله عنه : **«لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»** .

---

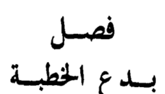
(٢٣٠) أخرج الطبرانى عن السائب بن يزيد أن رسول الله ﷺ قال : « من لبس الصوف أو حلب الشاة أو أكل مع ما ملكت يمينه ، فليس فى قلبه إن شاء الله الكبر » .

واعلم أنه ليس المقصود من سماع العلم ، وحضور مجالس الذكر البكاء والحضور ، وإنما المقصود هو العمل . وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة فى الحجة عليه . فعليك ياأخى بالاتباع لسلفك الصالح ، واجتنب المبتدعات المنكرات ، تكن عبداً صالحاً . واسأل ربك التوفيق ، والسداد ، وسلوك المنهاج الرابح ؛ فإن من رزق ذلك كان متجره متجراً رابحاً رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه ؛ إنه أرحم الراحمين .



ألوان من البدع متفرقات

بدع الخطبة ـ بدع رفع الصوت فى الصلاة على النبى ـ بدع الجنائز ـ بدع الحج ـ بدع التحية ودخول المنازل ـ السؤال عما لا يغنيه ـ إظهار الإشارة فى المواجيد ـ التلحين فى القراءة والأذان ـ الصياح عند سماع القرآن ـ الموسيقى والغناء وما شابههما من اللهو ـ الحذف بالبندق ـ مضغ العِلْك ـ القمار والطاولة والشطرنج ـ ستر الحيطان بالحرير ـ استطلاع الغيب ـ كشف العورات ـ الاجتماع فى المآتم ـ الوسوسة فى الضوء ـ الوسوسة فى نية الصلاة ـ التساهل فى المكاسب ـ أتباع هوى النفس ـ دخول الحمام بغير مئزر ـ زخرفة المساجد ـ شغل طرقات الناس ـ حب المدح وطلب الحمد



فصل
بدع الخطبة

ومن البدع فى الخطبة أشياء ، فمن ذلك دق الخطيب المنبر عند صعوده ثلاث مرات بأسفل سيفه دقاً مزعجاً .

ومنها : تباطؤه فى الصعود واشتغاله بالدعاء قبل الإقبال على الناس ، والسلام عليهم ، ورفع يديه عند الدعاء ، فبدعة قديمة(٢٣١) .

ومنها الالتفات يميناً وشمالا عند قوله آمركم وأنهاكم ، وعند الصلاة على النبى ﷺ ، ولا أصل لشيء من ذلك ، بل السنة الإقبال على الناس من أول الخطبة إلى آخرها ، قال الشافعى رضى الله عنه : ويقبل الخطيب بوجهه على الناس ، ولا يلتفت يمينا وشمالا .

رفع الصوت فى الصلاة على النبى ﷺ :

وتكلفهم رفع الصوت فى الصلاة على النبى ﷺ ، وذلك جهل ، فإن الصلاة على النبى ﷺ إنما هو دعاء له ، والأدعية جميعها السنة فيها الإسرار دون الجهر ، وحيث يسن الجهر فهو لمصلحة كدعاء القنوت ، وكذا ترسل المؤذنين بالأذان ، وأذان الآحاد متفرقين يوم الجمعة بدعة .

---

(٢٣١) قال أحمد بن حنبل : حدثنا شريح بن النعمان ، حدثنا بقية ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن حبيب بن عبيد الرحبى ، عن عضيف بن الحارث الثمالى ، بعث إلى عبد الملك بن مروان ، فقال : ياأبا أسماء إنا قد جمعنا الناس على أمرين ، قال : فقلت ، وما هما ؟ قال : رفع الأيدى على المنابر يوم الجمعة ، والقصص بعد الصبح والعصر ؛ فقال : إنهما أمثل بدعكم عندى ولست مجيبك إلى شيء منها . قال : لم ؟ قال : لأن النبى ﷺ قال : « ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة » ؛ فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة .

ومنها أن يكون الخطيب لابساً ثياب سواد يغلب عليه الإبريسم[٢٣٢] ، أو ممسكاً بيده سيفاً مُحَلًّى بذهب فهو حرام . فأما السواد الذى ليس فيه إبريسم ، فليس بمذموم ، وليس بمحبوب ، إذ أحب الزِّىّ إلى الله البياض .



(٢٣٢) الإبْرِيسم : أحسن الحرير .



فصـــل
بـــدع الجنائز

ومن البدع ما يفعل فى الجنائز من ترك الإسراع ، والقرب منها ، والإنصات فيها ، وقراءة القرآن معها بالألحان ، وعدم التفكر فيما هم صائرون إليه ، بل يتكلمون باللغو(٢٣٣) ، وحديث الدنيا ، وقد قال النبى ﷺ : **«أسرعوا بالجنازة ؛ فإن تكن صالحة فخير تقدمونها إليه ، وإن تكن سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم »**(٢٣٤) .

وعن إبراهيم النخعى رحمه الله . أنه كان يقول : انشطوا بجنائزكم ، ولا تدبوا دبيب اليهود والنصارى .

وجاء عن النبى ﷺ **أنه كان إذا اتبع جنازة أكثر الصمت ورؤى عليه الكآبة وأكثر حديث النفس**(٢٣٥) .

وقال الفضيل : كانوا إذا اجتمعوا فى جنازة يعرف ذلك فيهم ثلاثة أيام .

ورأى ابن مسعود رضى الله عنه رجلاً يضحك فى جنازة ، فقال : أتضحك مع الجنازة لا أكلمك أبداً .

وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه ، قال فى مرضه : إياى وحاديهم هذا الذى يحدو له يقول : استغفروا له يغفر الله لكم . وكرهه الحسن ، والنخعى ،

---

(٢٣٣) اللغو : مالا يعتد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع . و ـــ الكلام يبدر من اللسان ولا يراد معناه .

(٢٣٤) أخرجه أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى وابن ماجه ، وابن حبان ، عن أبى هريرة . جمع الجوامع : الأول ، ص ١٠٨ .

(٢٣٥) قال فى الفتاوى الهندية ما ملخصه : وعلى متبعى الجنازة الصمت ويكره لهم تحريماً رفع الصوت بالذكر وقراءة القرآن ، فإن أن يذكر الله يذكره فى نفسه . انتهى . ومثله فى سائر كتب السادة الحنفية .

بالذكر وقراءة القرآن ، فإن أراد أن يذكر الله يذكره فى نفسه . انتهى . ومثله فى سائر كتب السادة الحنفية .

وابن جبير ، وأحمد ، وإسحق . وسمع ابن عمر قائلا يقول ذلك ، فقال : لاغفر الله لك .. وإنما كرهوه لما فيه من التشويش على المشيعين المتفكرين فى المعاد .

وسئل سفيان بن عيينة عن السكوت فى الجنازة : ماذا يجىء به ؟ قال : تذكر به حال يوم القيامة ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿**وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً**﴾(٢٣٦) .

قال قتادة : بلغنا أن أبا الدرداء رضى الله عنه نظر إلى رجل يضحك فى جنازة ، فقال له : أما كان فيما رأيت من هول الموت ما يشغلك عن الضحك ؟!

وكان مطرف يلقى الرجل من خاصة أهله فى الجنازة فعسى أن يكون غائباً فما يزيده على السلام ، ثم يعرض عنه انشغالاً بما هو فيه .

وقال ثابت البنانى : كنا نشهد الجنازة ، فلا يرى إلا مقنعاً باكياً .

فهذا خوف هؤلاء السادات من الموت . وأما اليوم ، فغالب من تراه يشهد الجنازة يلهون ، ويضحكون ، وما يتكلمون إلا فى ميراثه ، وماذا خلفه لورثته .



(٢٣٦) طـه : ١٠٨

فصـــل
بـــدع الحـــج

ومما اتبع فى الحج أمور ، منها :

افتتان العوام بجبل عرفات ، جعلوه أصلاً فى الوقوف ، يحرصون عليه دون بقاعها ، ذلك خطأ . وإنما الأفضل الوقوف فى موقف رسول الله ﷺ عند الصخرات عن يسار الجبل .

ومنها : إيقاد النيران عليه ليلة عرفة واهتمامهم بذلك باستصحابهم الشموع معهم من بلادهم واختلاط الرجال بالنساء فى ذلك المكان صعوداً وهبوطاً بالشموع المشعلة . وهذه ضلالة ، شابهوا فيها أهل الشرك فى مثل ذلك الموقف الجليل . وإنما أحدثوا ذلك حين انقرض أكابر العلماء ، حين تركوا سنة رسول الله ﷺ .

ومن ذلك حضورهم بعرفات قبل دخول وقت الوقوف ، وإنما السنة فى السير فى اليوم الثامن من مكة إلى منى والمبيت بها إلى يوم عرفة[٢٣٧] .

ومن البدع أيضا : أكل العوام التمر الصيحانى[٢٣٨] فى الروضة الشريفة بين المنبر والقبر ، وطوافهم بالقبر الشريف ، ولا يحل ذلك . وكذلك إلصاقهم بطونهم وظهورهم بجدار القبر ، وتقبيلهم إياه بالصندوق الذى عند رأس النبى ﷺ ، ومسحه باليد . وكل ذلك منهى عنه .

---

(٢٣٧) ومنها انشغال الناس ببعض الصلوات النفل فى موقف عرفة عند غروب الشمس ، وهو وقت مكروه فيه الصلاة كراهة تحريم أو منهى عن الصلاة فيه من النبى ﷺ يتخذون ذلك بديلاً عن الدعاء والتسبيح المشروع فى الموقف ، وكذلك بعد غروب الشمس يشرع بعض الناس فى صلاة المغرب فى الموقف بعرفة وهذا لم يرد إنما صلاة المغرب تصلى بمزدلفة جمع تأخير مع صلاة العشاء .

(٢٣٨) يقال : صيحت الريح أو الشمس البقل أى جففته . والصيحانى تمر معروف فى المدينة .

ومما أحدث المحامل والقباب[٢٣٩] ، وإنما كانوا يحجون على القتب .

---

(٢٣٩) جمع محمل ، والقباب جمع قبة والمحمل ما يحمل فيه الهودج والقتب : الرَّحْل الذى يوضع فوق الجمل ليركب عليه .



فصل
بدع التحية والسلام

ومما احدث قولهم : كيف أصبحت ؟ وكيف أمسيت ؟ قبل السلام وإنما السنة السلام أولا .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الثانية**» .

وروى أبو داود عن رسول الله ﷺ وقال : «**إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ، ثم لقيه فليسلم عليه أيضا**»(٢٤٠) .

وروى أيضا عن أبى أمامة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»(٢٤١) .

والسلام تحية الله لعباده المؤمنين فيما بينهم ، ولهم فيها أجر كثير ، فقد روى أبو داود والترمذى ، عن عمران بن حصين رضى الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجل فقال : السلام عليكم ، فرد النبى ﷺ وقال : « عشر » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد النبى ﷺ ، فقال : (عشرون) ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فجلس ، وقال : (ثلاثون) .

---

(٢٤٠) أبو داود : الجزء الرابع ، ص ٣٥١ .

(٢٤١) الموضع السابق .

وروى أبو داود أيضا ، عن معاذ بن أنس معناه ، وزاد : ثم أتى آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ، فردَّ عليه النبى ﷺ ، وقال : (أربعون) ، ثم قال لنا : (هكذا تكون الفضائل) .

فكان السلام شعارهم ، وكانوا بعد السلام وبعد الرد يستخرج بعضهم من بعض الحمد والثناء .

فكان السلام شعارهم ، وكانوا بعد السلام وبعد الرد يستخرج بعضهم من بعض الحمد والثناء .

وفى الموطأ عن أنس رضى الله عنه أنه سمع عمر وقد سلم على رجل ، فقال : السلام عليكم ، فرد السلام ، ثم قال له عمر : كيف أنت ؟ فقال الرجل : أحمد الله إليك ياأمير المؤمنين ، فقال عمر : ذلك الذى أردت منك .

وأما قول الرجل (كيف أصبحت) و (كيف أمسيت) بلا سلام ، يشبه تحية أهل الجاهلية ، وقد نهينا عن التشبه بهم ؛ فروى أبو داود ، عن عمران بن حصين رضى الله عنه ، قال : كنا نقول فى الجاهلية : أنعم الله بك عيناً ، وأنعم صباحاً ، فلما كان الإسلام نهينا عن ذلك ، وأمرنا بالسلام .

بدعة الانحناء :

وقد يزيد بعض الجاهلين والعلماء والغافلين عن السنة على هذه البدعة أمراً منكراً ، وهو الانحناء ، وهو أمر منهى عنه ، فروى الترمذى ، عن أنس رضى الله عنه ، قال : « **سمعت رجلا يقول لرسول الله ﷺ : يارسول الله ، الرجل يلقى أخاه أو صديقه أينحنى له ؟ قال : (لا) ، قال أفيلتزمه ويقبله ؟ قال : (لا) قال : أيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : (نعم)** » .

وروى الترمذى رضى الله عنه ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنهم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس منا من تشبه بغيرنا ، لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف** »(٢٤٢) .

(٢٤٢) قال الترمذى : هذا حديث اسناده ضعيف ، وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن الهيعة فلم يرفعه .

فالسلام واستخراج الحمد ، والثناء بعد السلام ، والمصافحة من تمام التحية ، وهى من السنن وأفعال السلف الصالحين من الصحابة والتابعين ؛ لما روى البخارى فى صحيحه ، عن قتادة ، قال : قلت لأنس بن مالك : كانت المصافحة فى أصحاب النبى ﷺ ؟ قال : نعم .

وروى الترمذى ، عن ابن مسعود ، عن النبى ﷺ ، قال : « **إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما** »(٢٤٣) .



(٢٤٣) رواه الترمذى عن البراء بن عازب بلفظ « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا » .



فصـــل
بـــدع دخـــول المنـازل

ومما أحدث قول الداخل منزل الغير : (ياغلام ، ياجارية) . وهذا فيه مخالفة لقول الله تعالى : ﴿**لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**﴾(٢٤٤) ، والاستئناس طلب الأنس ؛ فيدق ، أو يتنحنح ، أو يحرك نعله ؛ حتى يؤذن له ، ويستأذن ثلاثاً ؛ ففى الصحيحين ، عن أبى موسى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك وإلا فارجع**» .

وروى أبو داود ، عن عبد الله بن بشر ، قال : كان النبى ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول : «**السلام عليكم ، السلام عليكم**» . وذلك أن الدور لم تكن يومئذ عليها ستور .



(٢٤٤) النور : ٢٧ .

فصـــــل
بدع متفرقات

السؤال عما لا يعنيه :

ومن ذلك قول الرجل لأخيه : من أين جئت ؟ وإلى أين تريد ؟ وهو داخل فى التجسس .

ومن ذلك علم الكلام والجدل[٢٤٥] ، وهو بدعة ومحدث ، لم يكن فى السلف الماضيين .

التلحين فى القراءة والآذان :

ومن ذلك التلحين فى القراءة والآذان . وقد روى أن رجلًا من المؤذنين قال لابن عمر : « **إنى أحبك فى الله ، فقال له : لكنى أبغضك فى الله ، قال : لم ؟ قال : لأنك تتغنى فى الآذان وتأخذ عليه** » .

الصياح عند سماع القرآن :

ومن ذلك الصياح والغشى عند سماع القرآن والوعظ ، وقد صح من حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ، قال : « **وعظنا رسول الله ﷺ**

---

(٢٤٥) علم الكلام : هو العلم الذى يعنى بتدعيم العقائد الإسلامية نقلاً وعقلاً ، ومنها ما يتصل بالله وصفاته ، والنبوة وما أخبرت به . ويقال إن سبب تسميته « بالكلام » أن مسألة كلام الله أشهر أجزائه أو أن وسيلة النقاش فيه هى الكلام .

موعظة وجلت منها القلوب ، ودمعت منها العيون[٢٤٦] . ولم يقل صرخنا ولا غشينا ، كما يفعله الجاهلون أهل البدع » .

الموسيقى والغناء وما شابهما من اللهو :

ومن ذلك الرقص ، والغناء فى المساجد ، وضرب الدف أو الرباب ، أو غير ذلك من آلات الطرب .

فمن فعل ذلك فى المسجد ، فهو مبتدع ، ضال ، مستحق للطرد والضرب ؛ لأنه استخف بما أمر الله بتعظيمه ، قال الله تعالى : ﴿**فى بيوت أذن الله أن ترفع (أى تعظم) ويذكر فيها اسمه**﴾[٢٤٧] ، أى يتلى فيها كتابه . وبيوت الله هى المساجد ؛ وقد أمر الله بتعظيمها ، وصيانتها عن الأقذار ، والأوساخ ، والصبيان ، والمخاط ، والثوم ، والبصل ، وإنشاد الشعر فيها ، والغناء والرقص ؛ فمن غنى فيها أو رقص فهو مبتدع ، ضال مضل ، مستحق للعقوبة .

الحذف بالبندق :

ومن ذلك قوس البندق ، وهو الجلاهق[٢٤٨] وقال الترمذى الحكيم : وفيما يروى ان النبى ﷺ نهى عن الحذف بالبندق[٢٤٩] ، وقال : إنما ينهى عنه لأنه كالمثلة[٢٥٠] ، ألا ترى أنه يصير المرمى به وقيذاً[٢٥١] وقد يصير ميتة ، وقتله إفساد . وقال أيضاً : ونهى عن اللعب بالحمام[٢٥٢] ؛ لأنه أيضا من أعمال قوم

---

(٢٤٦) سبق .

(٢٤٧) النور : ٣٦

(٢٤٨) الجُلاهق : قوس البندق الذى يرمى به والبندق الطين المدور الأملس وكراهيتها لأجل أنها لا تسيل دم الصيد ؟ فصيدها فى الغالب موقوذ .

(٢٤٩) وأخرجه أيضا البخارى: كتاب الذبائح ، باب ٢ ، ٥ . والبندق كرة صغيرة فى حجم البندقة ، يرمى بها فى القتال والصيد .

(٢٥٠) المثلة : التنكيل وتشويه الخلقة .

(٢٥١) مال شاة وقيذ وموقوذة . قتلت بالخشب أو غيره .

(٢٥١) واخرجه أيضا أبو داود وابن ماحه .أحمد .

لوط ، ويصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة[٢٥٣] ، وقد روى أن قوم لوط كانت فيهم عشر خصال مذمومة ، أهلكهم الله بسببها : كانوا يتضارطون فى الطرقات ، ويتغوطون فيها ، وعلى شطوط الأنهار ، ويرفعون ثيابهم قبل أن يجلسوا له ، ويحذفون من مَرّ بهم ، وإذا اجتمعوا فى مكان أظهروا المنكر بالضراط ، والصفع على الرقاب ، ويلعبون بالحمام الطيارة ، ويرمون بالجلاهق وهو قوس البندق ، وكشف العورات فى الحمام ، وشرب الخمر ، وإتيان الذكور ، وقص اللحية ، وتطويل الشوارب ، ومضغ العلك[٢٥٤] .



---

(٢٥٣) هذا الكلام الذى نسبه السيوطى إلى الحكيم الترمذى ، ذكره الحكيم فى كتابه « المنهيات » ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، من طبعة مكتبة القرآن ، بدراسة وتحقيق الأستاذ : محمد عثمان الخشت .

(٢٥٤) العِلك ما نسميه (اللبان) وقد استحدثت منه فى أيامنا أنواع منها ما هو بالنعناع ، ومنها ما هو بالقرفة إلى غير ذلك .

فصــل
القمار والطاولة والشطرنج

ومن المنكرات اللعب بالنرد والشطرنج ، واللعاب ، وسائر أنواع القمار . وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال : «**من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله**»[٢٥٥] .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الشطرنج ميسر الأعاجم ، ومر بقوم يلعبون بها فقال : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس أحدكم جمراً حتى بطفأ خير له من أن يمسها . وقال أيضا : صاحب الشِّطْرَنْج اكذب الناس يقول أحدهم : قتلت ، وما قتل ، وقال الإمام مالك : بلغنا أن ابن عباس ولى مالا ليتيم فوجدها فيه ، فأحرقها .

وسئل محمد بن على المعروف بالباقر عن الشطرنج ، فقال : دعونا من هذه المجوسية .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ : أنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج ، فقال : «**ما هذه الكوبة[٢٥٦] ؟ ألم أنه عن هذا ؟ لعن الله من فعل هذا**» .

---

(٢٥٥) أبو داود ، وابن ماجه ، وغيرهما . وتُعرف لعبة «النرد» عند جمهور الناس بـ «الطاولة» . وهنا تجدر الإشارة إلى أن اللعب بالنرد إذا اقترن بقمار ، فهو حرام اتفاقاً. وإن لم يقترن به فقال جمهور العلماء : يحرم . وقال بعضهم : يكره ولايحرم .

وحجة المحرمين الحديث المذكور أعلاه : « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » . والحديث صريح فى التحريم . وقال الشوكانى : روى أنه رخص فى النرد ابن مغفل وابنَ المسيَّب على غير قمار . ويبدو أنهما حملا الحديث على من لعب بقمار .

(٢٥٦) لعل المقصود : أن لعبة الشطرنج تشبه فى النهى عنها «الكوبة» ومن حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال : «إن الله حرم على أمتى : الخمر والميسر ، والكوبة ، وأشياء عددها» رواه أحمد وأبو داود وابن =

وعن أنس ، عن النبى ﷺ ، قال : « **اللاعب بالشطرنج كالآكل لحم الخنزير ، والناظر اليها كالغامس يده فى دم الخنزير** » .

وروى أبو بكر الآجرى بإسناده إلى أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام : الشَّطْرنج ، والنرد ، وما كان من اللهو ، فلا تسلموا عليهم ؛ فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاء الشيطان بجنوده فأحدقوا بهم ، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده فما يزالون يلفتونهم حتى يفترقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة ثم تفرقت** » . ولأنهم يكذبون عليها فيقولون : شاه شاه مات وفرس وفرزان وتقدم وتأخر وروى ابن أبى الدنيا بإسناده إلى واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال : « **إن لله فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب** » ، وصاحب الشاه[٢٥٧] هو صاحب الشطرنج[٢٥٨] ، وهو داخل فى الميسر ، وهو القمار .

= حبان . زاد البيهقى وهو ، أى الكوبة : طبل طويل متسع الطرفين ، ضيق الوسط . وفى إحياء علوم الدين : وضربها عادة المخنثين ، ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو .

ويقول د . صبحى أنور رشيد ص ٢٧٥ : والكوبة آلة إيقاعية من فصيلة الطبول .. وتغطى النهايتان المدورتان للآلة بالجلد ، حيث يقرع عليها بالأصابع ، وهى معلقة على القسم الأمامى من جسم العازف .

(٢٥٧) الشاه كلمة فارسية مقصود بها الملك ، وهى من قطع الشطرنج ، وهناك البيدق وهو الجندى وقد يزحف فى لعب الشطرنج فيصير ملكاً فيقال : تفرزن البيدق .

(٢٥٨) ذكر ابن حجر الهيثمى فى كتابه «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع» أن هناك أقوالاً أربعة :

أولها — تحريمه عند — أكثر العلماء — وكذا عنده — إن لعبه مع من يعتقد تحريمه . أو اقترن به قمار . أو إخراج صلاة عن وقتها . أو سباب . أو نحو ذلك من الفواحش التى تغلب على أهله ، وإلا كره كراهة تنزيهية .

ثم قال : والدليل على تحريمه مطلقاً أو بقيد مما ذكرناه الأحاديث الكثيرة فيه .

وإننا نجد السيوطى فى كتابنا هذا قد ساق تلك الأدلة فى مجال التدليل على تحريمه . وإن كان الحافظ المنذرى قد جزم بعدم صحتها .

القول الثانى : أنه مباح وقد قال به جماعة من أكابر أصحاب ابن حجر لكنهم قيدوا ذلك بحالة ما إذا سلمت الأموال عن الخسران ، واللسان عن الطغيان ، والصلاة عن النسيان . فهو أنس بين الإخوان ، واشتغال عن الغيبة والبهتان . وحكى نحو هذه العبارة عن الشافعى . وشرط الماوردى للإباحة انتفاء سائر وجوه الخلاعة ، وتمسكوا بأن الإباحة هى الأصل ، وبأن فعله والإقرار عليه جاء عمن لا يحصى من العلماء ، وبأنه ينفع فى تدبير الحرب ... =

الذى حرمه الله سواء كان بجُعْل(٢٥٩) أم لا وعن عمر بن عبد الله ، قال : قلت للقاسم بن محمد : أرايت الشطرنج ميسر هى ؟ فقال : كل ما ألهى عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، فهو ميسر .

ستر الحيطان بالحرير :

ومن ذلك — أى من البدع — ستر الحيطان بستور الحرير ونحوها ؛ لأن ذلك سرف وخيلاء .

وروى الخلال عن على بن الحسين ، قال : «**نهى رسول الله ﷺ أن تستر الجدر**» .

وروى مسلم فى الصحيح : أن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج النبى ﷺ فى سفر ، فأخذت غطاء فسترت به على الباب ، فلما قدم النبى ﷺ ورآه عرفت الكراهة فى وجهه ، فجذبه حتى هتكه ، ثم قال : «**إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين**» . والنمط كالبساط والعباءة ونحوها ، فإذا كانت هذه كراهيته لذلك فكيف لو رأى ما يصنع اليوم من ستر الحيطان

= وقال الماوردى : وفيه مع ذلك تدبير الحرب ، ومكيدة العدو وتشحيذ الخواطر ، وتذكية الأفهام ، ووجوه الحزم فأشبه اللعب بالحراب والرماية والفروسية ؛ فإن لم يكن لأجل ذلك ندباً مستحباً ، فأولى ألا يكون حظراً محرماً .

ثم يقول ابن حجر بعد أن عرض أدلة المحرمين والمبيحين . وبالجملة فقد قال التاج السبكى : إن المنصف إذا نظر فيما أوردناه من الجانبين علم أن القول بالحِلّ هو الحق الأبلج ، وجاء عن بعض أئمة أهل البيت أنه قال : ما مات شريف من الطالبين إلا بيعت الشطرنج فى ميراثه . قيل : ووجدت فى تركة الشافعى . وبالغ بعض الحفاظ فى رده وتزييفه .!!

القول الثالث : أنه مكروه كراهة تغليظ توجب المنع ، وكذا مذهب أبى حنيفة على ما حكاه الماوردى فى حاويه ، واعترض بأن مذهبه التحريم ، ويُرَدّ بأن أصحابه كثيراً ما يرجحون خلاف ما ذهب إليه .

القول الرابع : أنه مكروه كراهة تنزيه وهو الصحيح من مذهبنا قال التاج السبكى : وهذا هو الذى ندين الله به ونراه الحق الواضح والنهار الجلى ، والمنصف إذا نظر فى أدلة الفريقين علم أن ذلك هو الحق الأبلج ، وقيد الغزالى الكراهة بالمواظبة ، والأصح أنه لا فرق ، وعن مالك قول كمذهبنا ، ورجحه بعض أصحابنا .

ثم يقول ابن حجر ومحل القول بالإباحة أو الكراهة مالم تكن بيادق الشطرنج ونحوها مصورة كلها أو بعضها ولو واحداً بصورة حيوان وإلا حرم اللعب به ؛ لأنه فيه تعظيماً له . انتهى .

(٢٥٩) أى فى مقابل مالى يجعل للفائز .

بالحرير ونحوه .

استطلاع الغيب :

ومن البدع استعلام حوادث الأمور من المنجمين ، والضوارب بالحصاء والشعير ، ونحو ذلك . وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿**قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون**﴾[٢٦٠] .

وقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال : «**من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»[٢٦١] .

والعراف من يتعاطى معرفة الشيء المسروق ، ومكان الضالة ، ونحوها ؛ والكاهن المنجم ومن يدعى علم الأشياء المغيبات .

كشف العورات :

ومن البدع والمنكر كشف العورات فى الحمامات .

الاجتماع فى المآتم :

ومن البدع الاجتماع لعزاء الميت ، قال الشافعى رضى الله عنه : وأكره المآتم وهو اجتماع الرجال والنساء لما فيه من تجديد الحزن ، وكذا اجتماع الرجال على القبر اليوم الثانى والثالث . ومن ذلك السجع فى الدعاء .



(٢٦٠) النمل : ٦٥ .

(٢٦١) أخرجه مسلم ، وأحمد ، والحكيم الترمذى .



فصـــل
الوسوسة فى الوضوء

ومن ذلك الوسوسة فى الوضوء ، والغسل ، وتنظيف الثياب ، ونحو ذلك بالزيادة والإسراف وصب الماء على المشروع ، والتنطع فى ذلك ، والتعمق والتشديد ، وقد قال النبى ﷺ : «**هلك المتنطعون**»(٢٦٢) قالها ثلاثاً ، والمتنطعون المتعمقون المتشددون فى غير موضع التشديد المبالغون فى الأمور . وقد توضأ النبى ﷺ ثلاثاً ، وقال : «**هكذا الوضوء ، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**»(٢٦٣) وقال : «**إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان ، فاتقوا وسواس الماء**»(٢٦٤) فمن أسرف فى صب الماء والزيادة على الثلاث فهو مبتدع .



---

(٢٦٢) أخرجه مسلم فى كتاب العلم ، وأبو داود فى السنة ، وأحمد فى المسند .
(٢٦٣) أخرجه أحمد ، والنسائى وابن ماجه ، وابن خزيمة ، بأسانيد صحيحة .
(٢٦٤) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الطهارة ، وأحمد فى المسند .



فصـــل
الوسوسة فى نية الصلاة

ومن البدع أيضا الوسوسة فى نية الصلاة ، ولم يكن ذلك من فعل النبى ﷺ ولا أصحابه ، كانوا لا ينطقون بشىء من نية الصلاة سوى التكبير . وقد قال الله تعالى : ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**﴾(٢٦٥) .

وقال الشافعى رحمه الله : الوسوسة فى نية الصلاة والطهارة من جهل بالشرع أو خبل فى العقل .



(٢٦٥) الاحزاب : ٢١ .



فصل
التساهل فى المكاسب وألوان التعاملات

ومن ذلك التساهل فى المكاسب ، وترك التحرى فيها ، والكلام فيما لا يعنى ، والخوض فى الباطل ، والغيبة ، والنميمة ، والاستماع إليها ، وسوء الظن لأجلها ، والنظر إلى ما يلهى .

الاستماع الى الغناء :

والإصغاء إلى اللهو من الغناء والمزامير وآلات الطرب . وقد جاء عن النبى ﷺ : **«من استمع إلى قينة صُبَّ فى أذنه الآنك يوم القيامة»**(٢٢٦) والقينة : المغنية ، وكذلك المغنى . والآنك : الرصاص المذاب .

---

(٢٦٦) أخرجه ابن عساكر عن أنس، كما أشار السيوطى فى الجامع الصغير، وهذا الحديث ضعيف، ضعفه غير واحد من المحدثين . القول الفصل فى الغناء وسماعه ما قاله «ابن حجر الهيثمى» فى كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، وسنحاول بتوفيق الله أن نقدم للقارىء المسلم خلاصة وافية بما تضمنه كتابه حول «الغناء» و«سماعه» وقد جاء فيه مايلى :

١ ــ اعلم أن مذهبنا أنه يكره «الغناء» و«سماعه» إلا إن اقترن به فحش وكذب فهو محظور عندئذ .

٢ــ وقال بعض العلماء : إنه سنة فى العرس ونحوه .

٣ــ وقال الغزالى ، وابن عبد السلام من أئمتنا : إنه سنة إن حرَّك لحالٍ سَنِيٍّ مذكر للآخرة . وبه يعلم أن كل شعر فيه الأمر بالطاعة ، أو كان حكمة، أو كان فى مكارم الأخلاق أو الزهد أو نحو ذلك من خصال البر كحث على طاعة أو سنة ، أو اجتناب معصية ، يكون كل من إنشائه وإنشاده وسماعه سنة كما صرح به غيز واحد من أئمتنا، هو ظاهر إذ وسيلة الطاعة طاعة .

ثم قال : ووقع لبعض من لا تحقيق له أنه أنكر سماع الغناء من غير تفصيل وليس كما زعم، ومِنْ ثَمَّ قال أبو طالب المكى : من أنكره أنكر على سبعين، صديقاً، وأراد بالسبعين الكثرة، وإلا فالصديقون وهم العلماء المبيحون له بشرطه الآتى لا ينحصرون .

قال الإمام السهروردى هنا : المنكر إما جاهل بالسنن والآثار ، وإما جاهل بالطبع لا ذوق له .

ثم راح ينبه إلى الحقائق الآتية :

١ــ يحرم سماع الغناء من حرة أو أمة أجنبية بناء على قول عندنا أن صوت المرأة عورة . سواء أخاف=

وقال الشعبي : لعن المغَنِّى والمغنَّى له — يعنى أن اللعنة تنزل على المغنى والمستمع إليه ، وكذا السماع إلى الكذب ، وقول الزور .

= الفتنة بها أم لا . وكلام الشيخين فى الروضة وأصلها فى ثلاثة مواضع يقتضى أن هذا هو الراجح فى المذهب ، ونقل القاضى أبو الطيب إمام أصحابنا عن الأصحاب ولو من وراء حجاب . وصرح بالتحريم القاضى الحسين أيضاً ، وادعى أنه لا خلاف فيه .

قال الأذرعى : ولو لم يكن المغنى والمغنية محل الفتنة ، ولكن استماع الغناء منه يبعث على الافتتان بغيره من الناس فهو حرام لما فيه من الخبث ، وتحريك القلب الخرب إلى ما يهواه ، لا سيما أهل العشق والشغف ، ومن يشتغل بصورة خاصة ، وهذا واضح لا ينازع فيه منصف . وإما على أن صوتها غير عورة وهو الأصح فلا يحرم إلا إن خشى فتنة .

قال الأذرعى : ومحله فى غير الغناء الملحن بالنغمات الموزونة مع التخنث والتغنج كما هو شأن المغنيات . أما هذا ففيه أمور زائدة على مطلق سماع الصوت .

ويجب أن يكون محل الخلاف فى صوت غير مشتمل على ذلك التحريم بخلاف المشتمل عليه لأنه يحث على الفسوق كما هو مشاهد .

ويظهر أن سماعه من الأمرد محرم أيضاً إن خشى فتنة به كسماعه من المرأة . وقد صرح الرافعى بذلك .

ونقل الأذرعى عن القرطبى أن جمهور من أباح سماع الغناء حكموا بتحريمه من الأجنبية على الرجال والنساء وأنه لا فرق بين إسماع الشعر والقرآن لما فيه من تهييج الشهوة وخوف الفتنة ، لا سيما إذا لحنته .

والحاصل أن سماعهن مظنة للشهوة قطعاً .

وفى تنبيه ثالث يقول : ما اعتاد الناس استعماله لمحاولة عمل وحمل ثقيل ، وقطع مفاوز سفر (صحراوات) ترويحاً للنفوس ، وتنشيطا لها كحداء الأعراب بإبلهم ، وغناء النساء لتسكين صغارهن ، ولعب الجوارى بلعبهن ، فهذا إذا سَلِمَ المغنى به من فحش وذكر محرم كوصف الخمور والقَيْنات لا شك فى جوازه ولا يختلف فيه ، وربما يندب إليه إذا نشط على فعل خير كالحُدَاء فى الحج والغزو ، وكالأشعار المزهدة فى الدنيا المرغبة فى الآخرة فهى من أنفع الوعظ فالحاصل عليها أعظم الأجر .

ثم يقول : إن ما ينتحله المغنون العارفون بصنعة الغناء المختارون المدن من غزل الشعر مع تلحينه بالتلحينات الأنيقة وتقطيعه لها على النغمات الرقيقة التى تهيج النفوس وتطربها وتفعل فيها ما تفعله الكئوس فهذا هو الغناء المختلف فيه على أقوال :

أحدها : أنه حرام . قال القرطبى وهو مذهب مالك وهو أيضاً مذهب أبى حنيفة ، وهو أحد قولى الشافعى وأحمد رضى الله عنهما .

ثانيها : أنه مكروه . والأظهر عند الشافعى وأحمد وأكثر أصحابهما .

ثالثها : الإباحة . وهو المروى عن إبراهيم بن سعد والعنبرى وهما شاذان . =

اتباع هوى النفس :

ومن ذلك الجلوس فى مجالس البطالين ، والمشى فى هوى النفس ، وكذا التعصب فى هوى النفس ، وشدة الحرص على الدنيا .

دخول الحمام بغير مئزر :

ودخول الحمام بغير مئزر . وقد قال صلى الله عليه وسلم : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بإزار»**(٢٦٧) وقال على رضى الله عنه : **«من كشف عورته أعرض الله عنه»** .

وهذه الأمور كلها فسوق .

= رابعها : يحرم كثيره دون قليله . ذكره بعض شراح المنهاج .

خامسها : يحرم فعله وسماعه إلا إذا كان فى بيت خالٍ .

سادسها : يحرم إن كان من امرأة لرجل أو لرجال، أو من رجل لامرأة أو لنساء .

سابعها : إن صحت النية فيه لم يكره وإلا كره .

ثامنها : يجوز الغناء وسماعه، إن سلم من تضييع فرصة أو حرمة مبيح وكان من رجل أو محرم ولم يسمعه على قارعة الطريق، ولم يقترن به مكروه .

تاسعها : يحرم إن كان بجُعْل . كما نقل عن نص الشافعى رضى الله عنه .

عاشرها : هو طاعة إن نوى به نزوع القلب على الطاعة ومعصية إن نوى به التقوية على المعصية، فإن لم ينو طاعة ولا معصية فهو معفو عنه كخروج الإنسان إلى بستان وقعوده على بابه متفرجاً . ذكره ابن حزم ونحا نحوه الغزالى .

حادى عشر : إن كان ما استعمل يحتمل وجهين : جائزاً وحراماً، فسماعه جائز، وإن لم يحتمل إلا وجهاً واحداً وهو وجه الفسق فحرام . وهو صحيح وبه يتأيد ما جاء فى التنبيه الأول .

هذه جملة ما يتحصل للعلماء فى الغناء المجرد من الأقوال .

ويبقى الغناء المصحوب برقص أو دف أو مزمار أو وتر :

١ـ فإذا أبيح أو كره وانضم إليه محرم يصير محرماً .

٢ـ وإذا حرم يشتد إثمه بانضمام المحرم إليه .

والرقص إذا كان فيه تكسر كفعل المخنث فهو حرام . وإن خلا عن ذلك كان مكروهاً . والله أعلم .

(٢٦٧) أخرجه الترمذى، والنسائى، والحكيم الترمذى .

شغل الطريق بغير حق :

ومن ذلك البيع والشراء على الطريق اذا كان يضر بالمارة . وكان الورعون[٢٦٨] لا يشترون منهم .

ومن ذلك إخراج الرواسن والميازيب إلى الطريق ، وطرح قشور البطيخ والرش على الطريق .

زخرفة المساجد :

ومن ذلك زخرفة المساجد ، وتخلية المصاحف ، وكثرة المساجد فى المحلة الواحدة .

ألوان من المستحدثات :

ومما أحدث الموائد ، وإنما كانوا يأكلون على السفر .

وكذا المناخل ، والأشنان ، والشبع ، وتشييد البنيان بالجص والآجر ، ونقش الأبواب . وكانوا يكرهون النظر إلى ذلك .

ألوان من بدع اللباس :

ومنها الثياب الرقاق ، وكانوا يقولون : الثياب الرقاق ثياب الفساق ، ومن رقَّ ثوبه رقَّ دينه . ومن البدع أيضا : تطويل الثياب فى الكم ، وكان كم النبى ﷺ إلى الرسغ[٢٦٩] ، وهو مفصل اليد ، وكان يقول : « **ما أسفل من الكعبين من الازار فى النار** »[٢٧٠] . وكان يقول : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه** »[٢٧١] . وكان يقول : « **أزرة المؤمن إلى أنصاف الساقين** »[٢٧٢] . ودخل شاب على عمر رضى الله عنه ، فإذا إزاره يمس

---

(٢٦٨) جمع وَرِع . والورع من يبتعد عن الإثم ويكف عن الشبهات والمعاصى . ★ والرواش (البلكونات) والميازيب ما يوضع فى السطح لينزل منه الماء .

(٢٦٩) أخرجه الحاكم وصححه ، من حديث ابن عباس : كان النبى يلبس قميصاً قصير اليدين والطول .

(٢٧٠) أخرجه البخارى والنسائى ، عن أبى هريرة . جمع الجوامع : الأول ، ص ٦٩٢ .

(٢٧١) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم ، وغيرهم ، عن ابن عمر . جمع الجوامع : الأول ، ص ٧٦٩ .

(٢٧٢) أخرجه النسائى ، عن أبى هريرة وغيره جمع الجوامع : الأول ، ص ١٠٤ .

الأرض ، فقال له عمر ارفع : إزارك ؛ فهو أنقى لثوبك ، وأتقى لربك . فتطويل الثياب شعار المتكبرين والمرحين .

ذو الوجهين :

ومن ذلك : اختلاف السريرة والعلانية . وكان السلف إذا كلموا أحدا وسلموا عليه ، سلمت له قلوبهم ، فلا يتكلمون فيه إلا بخير فى غيبته وحضوره . وإذا تكلموا فى أحد لبدعة أو لفسق يعظونه . وإذا مدحوا أحداً بقول لم يذموه بفعل . وإذا ذموه بفعل لم يمدحوه بقول ؛ لأن ذا اللسانين واختلاف الوجهين واختلاف السر والعلانية نفاق ، كان بعض السلف يقول : ما ذكر عندى إنسان إلا مثلته جالساً ، فقلت فى غيبته ما أحب أن يسمع . وقال آخر : ما ذكر عندى رجل إلا صورت نفسى فى مثاله فكلما أحب أن يقال لى قلته له . ويروى فى كتب الله : عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه خير فكيف يفرح ؟! ولمن قيل فيه السوء وهو فيه كيف يغضب ؟! وأعجب من ذلك من أحب لنفسه وأبغض الناس على الظن .

حب المدح وطلب الحمد :

ومما أحدث حب المدح ، وطلب الحمد . وكان السلف يكرهون ذلك ، قال بعضهم : من أحب المدح ، وكره الذم ، فهو منافق . وقال سفيان الثورى : إذا كنت إذا قيل لك ؛ بئس الرجل ، تغضب فأنت بئس الرجل . وقال آخر : لا يزال فيك خير ما لم تر أن فيك خيراً . وسئل بعضهم : ما علامة المنافق ؟ فقال : الذى إذا مدح بما ليس فيه ارتاح لذلك قلبه . وقال سفيان : إذا رأيت الرجل يحب أن يحبه الناس كلهم ، ويكره أن يذكره أحد بسوء ، فاعلم أنه منافق .

وكان السلف إذا مدحوا خافوا ، وأشفقوا من المكر ، وردوا الصنعة إلى صانعها ، ويشهدون أن فى الفطرة فاطرها ، ولا ينظرون إلى نفوسهم ، ولا يعجبون بوصفهم . وهذه طرق قد درست[٢٧٣] ، وانقطع سلاكها .

---

(٢٧٣) (دَرَسَ) ـــ دَرْساً ، ودروساً : عفا وذهب أثره . وتقادم عهده . والثوب ونحوه : أخلق وبلى .

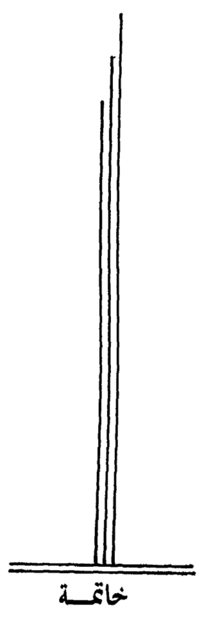
اللهم انظمنا فى سلكك الأبرار ، وألحقنا بالأخيار ، الذى هم غرسك الذين تستعملهم بطاعتك ، وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«لا يزال الله يغرس فى هذه الدنيا غرساً يشغلهم بطاعته»**(٢٧٤) . فغرس الله تعالى محروس فى الأموال ، ومحفوظ فى الأصلاب والأرحام ، ومرعى يكلؤهم(٢٧٥) الله ويرعاهم ، وهم رجاله فى أرضه وأولياؤه ، والدعاة إليه ، عاملين بكتاب الله ، ومتبعين لسنة نبيهم ؛ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . اللهم اهدنا بهداهم يارب العالمين .



---

(٢٧٤) أخرجه أحمد بن حنبل، وابن ماجه، والحكيم، والحاكم فى الكنى، وابن عدى فى الكامل، والطبرانى، والبغوى؛ عن أبى عتبة الخولانى . ولفظة عندهم : «لا يزال الله عز وجل يغرس فى هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة» . جمع الجوامع : الجزء الأول، ص ٩٣٠ .

(٢٧٥) (كَلَأَ) الله فلاناً كلئا، وكلاء، وكلاءة : حفظه . ويقال : كلأ فلان القوم : رعاهم . وفى التنزيل العزيز : ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ .



خاتمـــة

وصية غالية فى التمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة

فصل

تعريف السلف للسنة ووصيتهم بلزومها

وصية سفيان الثورى :

قال سليمان بن عيسى : قال سفيان الثورى رحمه الله : أما بعد ، عفانا الله وإياك من سخطه ، وأعاذنا من النار برحمته ، أوصيك بتقوى الله ، واحذر عقابه ، وأن تجهل بعد إذ علمت فتهلك ولا تهلك بعد إذ وضح لك ، وتغتر بأهل الباطل بطلبهم الدنيا وحرصهم عليها وجمعهم إياها ؛ فإن القول فيها شديد ، والخطر عظيم ، والأجل قريب ، وكأن قد كان ما تحذر . فتفرغ ، وفرغ قلبك ، ثم الجد الجد ، والوحاء الوحاء[٢٧٦] ، الهربَ الهربَ ؛ فارتحل إلى الاخرة قبل أن يرحل بك ، واستقبل رسل ربك بما تحب أن تستقبل به ، وانكمش فى أمورك ، واشدد مئزرك ، وقدم جهازك من قبل أن يقضى قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد . فقد وعظتك بما وعظت به نفسى ، والتوفيق من الله ، ومفتاح التوفيق الدعاء والتضرع والاستكانة والندامة على ما فرطت فى أمرك ، ولا تضيع حقك من هذه الأيام والليالى . أسأل الله الذى منَّ علينا بمعرفته أن لا يكلنا وإياكم إلى أنفسنا ، وأن يتولى منا ومنكم ما تولى من أوليائه وأحبابه برحمته ؛ إنه على كل شىء قدير .

وقال رحمة الله عليه : السنة سنتان : سنة أخذها هدى وتركها ضلالة ، وسنة أخذها هدى وتركها ليس بضلالة . وإن لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار ،

(٢٧٦) (الوحاء) ــ يقال فى الاستعجال : الوحاء الوحاء : البدار البدار . وأحياناً يقال : الوحى الوحى . ويقال : الوحاك الوحاك [والكافُ للخطاب] . أى العجَلَ العجَلَ ــ وهو أسلوب إغراء بمواصلة الجد، والسرعة، والهرب من الدنيا والاستعداد للارتحال إلى الآخرة، قبل أن ينتهى الأجل والكلمتان منصوبتان على الإغراء بفعل محذوف تقديره : الزم فكأنه يقول : الزم الجدَّ الجدَّ .. الزم الوحا الوحا .. الزم الهرَب الهرَب .

وحقا بالنهار لا يقبله بالليل ، وانه لا يقبل نافلة[٢٧٧] حتى تؤدى الفريضة ، وإن العبد يحاسب يوم القيامة بالفرائض ؛ فإن جاء بها تامة أو لم يفردها كاملة ألحق بها النوافل حتى يكمل بها ، وأول الفرائض الانتهاء عن المحارم والمظالم ؛ فإن الله تعالى يقول فى كتابه : ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به**﴾[٢٧٨] ، فنعم والله ما وعظ به .. وقال تعالى : ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾[٢٧٩] وإنما عنى اتقوا الله فى المظالم أن تنالوها فتنفقوها فى أعمال البر .

وقال رحمه الله : وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك ، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح الله فيما بينك وبين الناس ، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك ، وبع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تخافن الا ذنبك ، ولا تستنكف[٢٨٠] أن تعمل لآخرتك ما ينفعك ، ولا تستحى أن تتعلم العلم ، واعمل ما ينفعك فى آخرتك ، فإن العمل عليك فريضة واجبة ، وإنما فضل العلم ليتقى به ، وقال : إنما العلم خشية الله تعالى . وسئل رحمه الله : بم عرفت ربك ؟ فقال : بفسخ العزائم ، ومنع الهمة . وقال : الصلاة والزكاة من الايمان ، والايمان يزيد وينقص ، والناس عندنا مسئولون ، والإيمان يتفاضل .

وقال الوليد بن مسلم : سألت سفيان ومالكاً والأوزاعى عن أحاديث الصفات ، فقالوا : نؤمن بها ، وتمضى كما جاءت ، ولا نفسرها .

---

(٢٧٧) النافلة : فى الشرع اسم لما شرع زيادة على الفرائض والواجبات وهو المسمى بالمندوب والمستحب والتطوع .

وفى اللغة : اسم للزيادة، ولهذا سميت الغنيمة نفلاً لأنه زيادة على ما هو المقصود من شرعية الجهاد، وهو إعلاء كلمة الله وقهر أعدائه .

(٢٧٨) النساء : ٥٨ .

(٢٧٩) البقرة : ١٩٧ .

(٢٨٠) (استنكف) من الشيء، وعنه : أنف وامتنع . ويقال : استنكف عن العمل : امتنع مستكبراً . وفى التنزيل العزيز : ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم﴾ ، و : ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله﴾ .

وقال : من قال : (القرآن مخلوق) فهو كافر . وقال : من قال :(إن علياً أحق بالإمامة عن أبى بكر) فقد أخطأ ، ولا أدرى أيرفع له عمل إلى السماء أم لا . وقال : الخلفاء وأئمة العدل خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز . وقال : القدرية كفار الجهمية(٢٨١) ، وقال لشعيب : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، الإيمان قول ، ولا يصح قول إلا بعمل ، ولا يصح قول وعمل الا بنية ، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بإصابة السنة . قلت : وما السنة ؟ قال : تقديم الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ثم قال : ولا ينفعك ما كتب حتى تقدم عثمان ، ولا ينفعك ما كتبت حتى تشهد للعشرة بالجنة ، ولا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين ، وأنه آثر عندك من غسل الرجلين ، ولا ينفعك ما كتبت حتى تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك . ثم قال : ولا ينفعك ما كتبت حتى تصلى الصلاة خلف كل بر وفاجر ، قلت : فى سائر الصلوات ؟ قال : فى الجمعة والعيدين ، ثم قال : وأن تشهد بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود . من قال غير هذا فهو كافر . والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ثم قال شعيب بن حرب : والله ما قالت القدرية ما قال الله تعالى ، ولا ما قالت الملائكة ، ولا ما قال الأنبياء ولا ما قال أهل النار ، ولا ما قال أهل الجنة ، ولا ما قال أخوهم إبليس ، قال الله تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾(٢٨٢) الآية . وقالت الملائكة : ﴿ **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** ﴾(٢٨٣) .

وقال عيسى عليه السلام : ﴿ **إن هى إلا فتنتك** ﴾(٢٨٤) ، وقال أهل الجنة : ﴿ **الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله** ﴾(٢٨٥) ،

---

(٢٨١) القدرية سبق التعريف بهم ، أما الجهمية : فهم أصحاب جهم بن صفوان ، قالوا : لا قدرة للعبد أصلاً ، لا مؤثرة ، ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات ، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى .

(٢٨٢) الجاثية : ٢٣ .

(٢٨٣) البقرة : ٣٢ .

(٢٨٤) الأعراف : ١٥٥ .

(٢٨٥) الأعراف : ٤٣ .

وقال أهل النار : ﴿غلبت علينا شقوتنا﴾[٢٨٦] وقال إبليس : ﴿بما أغويتنى﴾ الآية[٢٨٧] ، ثم قال : ولا تصلِّ إلا خلف من تثق به ، وتعلم أنه من أهل السنة والجماعة إلا الجمعة والعيدين ، ثم إذا وقفت بين يدى الله تعالى فقل : حدثنى بهذا سفيان بن سعد ثم خل بينى وبين ربى .

وصية الامام الشافعى :

وروى الشيخ الحافظ أبو محمد عبد الغنى عبد الواحد بن على المقدسى عن أبى منصور محمد بن على بن صباح البلدنى ، قال : هذه وصية الإمام الشافعى رضى الله عنه أوصى بها إلى أصحابه : أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وأن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن عذاب النار حق ، وأن الحساب حق والميزان والصراط حق ، والله عز وجل يجزى العباد بأعمالهم ، عليه أحيا وعليه أموت ، وعليه أبعث إن شاء الله تعالى ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن الله تعالى يُرى فى الآخرة ينظر إليه المؤمنون عياناً جهاراً[٢٨٨] ويسمعون كلامه ، وأنه فوق عرشه ، وأن القدر خيره وشره من الله عز وجل لا يكون إلا ما أراد الله وقضاه وقدره ، وأن خير الناس بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، رضى الله عنهم . وأتولاهم ، وأستغفر لهم ، ولأهل الجمل وصفين القاتلين والمقتولين ، وجميع أصحاب النبى ﷺ ، والسمع لأولى الأمر ما داموا يصلون والموالاة لهم ، ولا يخرج عليهم بالسيف والخلافة فى قريش ، وأن كل ما أسكر كثيره فقليله حرام ، والمتعة حرام[٢٨٩] ، وأوصى بتقوى الله عز وجل ولزوم

---

(٢٨٦) المؤمنون : ١٠٦ .

(٢٨٧) الحجر : ٣٩ .

(٢٨٨) هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، أما المعتزلة فقد ذهبوا إلى أن الإنسان لا يمكنه رؤية الله تعالى مطلقاً لأن رؤيته تعالى تقتضى خضوعه للتحديد والجسمية ، وهو ما يتنزه الله تعالى عنه . واستدلوا على ذلك بأدلة أخرى عديدة ، وردّ عليهم أهل السنة ، ودار بينهما نقاش طويل ، ليس هذا موضوع تناوله .

(٢٨٩) أى نكاح المتعة حرام ، وهو النكاح إلى أجل مسمى بعيداً أو قريباً ، كأن يتزوج الرجل المرأة على=

السنة والآثار عن رسول الله ﷺ وأصحابه وترك البدع والأهواء واجتنابها ؛ فاتقوا الله ما استطعتم ، وعليكم بالجمعه والجماعة ولزوم السنة والإيمان والتفقه فى الدين ، منّ حضرنى منكم فليلقنى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتعاهدوا(٢٩٠) الأظفار والشارب ، وإذا اختضرت فإن كانت عندى حائض فلتقم ، وأن تطيبوا وتدهنوا . هذه وصية الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وروى الشيخ الزاهد أبو الحسن على بن أحمد بن يوسف الهكارى ، عن أبى شعيب وأبى ثور ، عن أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ، قال : القول فى السنة التى أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عليهم ، مثل سفيان بن عيينة ، ومالك ، وغيرهما : الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأشهد أن الجنة حق ، وأن النار حق وأن الساعة لا ريب فيها(٢٩١) ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأؤمن بجميع ما جاءت به الأنبياء ، وأعقد قلبى على ما ظهر من لسانى ، ولا أشك فى إيمانى ، ولا أكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب وإن عمل الكبائر ، وأَكلُهم(٢٩٢) إلى الله عز وجل وقدره وإرادته خيره وشره جميعاً ، وهما مخلوقان مقدران على العباد من الله عز وجل ، من شاء الله أن يكفر يكفر ، ومن شاء أن يؤمن آمن ، ولم يرض الله عز وجل بالشر ، ولا يأمر به ، ولا يحبه ، بل يأمر بالطاعة ، وأحبها ورضيها ، ولا أنزل المحسن من أمة محمد الجنة بإحسانه ، ولا المسىء بإساءته النار ، خلق الخلق على ما أراد ، فكل ميسر لما خلق له ؛ كما جاء فى الحديث(٢٩٣) ، وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والأخذ بفضائلهم ،

=مدة معينة كشهر أو كسنة مثلاً، وذلك للحديث المتفق عليه عن على رضى الله عنه : «أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر» . وحكم هذا النكاح البطلان، فيجب فسخه متى وقع . ويثبت فيه المهر إن كان قد دخل بالمرأة، وإلا فلا .

(٢٩٠) لا تتركوا أيًّا منهما يطول : فالأظفار قلموها ، والشارب أحفوه .

(٢٩١) لاريب فيها : أى لا شك فيها .

(٢٩٢) أكلهم : أى أدعهم وأسلم أمرهم .

(٢٩٣) الذى أخرجه البخارى فى التفسير، والأدب، والقدر، والتوحيد . ومسلم فى القدر، وأبو داود

وامسك عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، وأقدم أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليًّا رضى الله عنهم ، فهم الخلفاء الراشدون ، وأعقد قلبى ولسانى على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، والكلام فى اللفظ والوقف بدعة ، والإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، وأؤمن برؤية الله تعالى فى الآخرة ، كما جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ(٢٩٤) ، ولما سمعت الله تعالى يقول فى كتابه عن الكفار : ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾(٢٩٥) دل على أنهم حال الرضى عن المؤمنين غير محجوبين ينظرون إليه لا يضامون فى رؤيته ، والشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ ، وأن المسح على الخفين فى الحضر والسفر جائز ، والجهاد مع كل بر وفاجر ، وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة ، والبيع والشراء على حكم الكتاب والسنة ، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح . هذه عقيدة أهل السنة والجماعة أحيانا الله وأماتنا عليها ، وجنبنا البدع ما ظهر منها(٢٩٦) وما بطن ؛ إنه جواد كريم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ، ونعم النصير . تم وكمل ولله الحمد والمنة .

والحمد لله رب العالمين

فى السنة . والترمذى فى القدر ، والتفسير . وابن ماجه فى المقدمة ، والتجارات . وأحمد فى المسند .

(٢٩٤) الذى قال فيه : «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر» ، أخرجه البخارى فى المواقيت والتوحيد ، ومسلم فى المساجد ، وابن ماجه فى المقدمة ، وأحمد فى المسند ، وللحديث روايات أخرى .

(٢٩٥) المطففين : ١٥ .

(٢٩٦) لا يفوتنا أن نشير إلى ألوان من البدع يمارسها الناس فى حياتهم العامة والخاصة إلى جانب ما أشار إليه عالمنا الكبير الإمام السيوطى حرصاً منا على تمام الفائدة وبخاصة لأولئك الذين كتبوا إلينا يتساءلون عن كثير مما استحدث حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم ، وها هى ذى :

أولاً ـــ بدع الجنائز :

جمع الأستاذ ناصر الدين الألبانى منها [٢٤١ بدعة] نكتفى بذكر ما شاع منها :

وقد أشار إلى ذكر القواعد والأسس التى بنى عليها رأيه فى البدعة المنصوص على ضلالتها من الشارع وهى :

* كل ما عارض السنة من الأقوال أو الأفعال أو العقائد ولو كانت عن اجتهاد .
* كل أمر يتقرب إلى الله به، وقد نهى عنه رسول الله ﷺ .
* كل أمر لا يمكن أن يشرع إلا بنص أو توقيف، ولا نص عليه، فهو بدعة إلا ما كان عن صحابي .
* ما ألصق بالعبادة من عادات الكفار .
* ما نص على استحبابه بعض العلماء ـــ سيما المتأخرين منهم ـــ ولا دليل عليه .
* كل عبادة لم تأت كيفيتها إلا في حديث ضعيف أو موضوع .
* الغلو في العبادة .
* كل عبادة أطلقها الشارع وقيدها الناس ببعض القيود مثل المكان أو الزمان أو صفة أو عدد .

قبل الوفاة :

* وضع المصحف عند رأس المحتضر .
* قراءة سورة يسٓ على المحتضر .
* توجيه المحتضر إلى القبلة . أنكره سعيد بن المسيب كما في «المحلى» [١٧٤/٥] ومالك كما في «المدخل» [٢٢٩/٣ ـــ ٢٣٠] . ولا يصح فيه حديث .

بعد الوفاة :

* إخراج الحائض والنفساء والجنب من عنده !
* اعتقاد بعض الناس أن روح الميت تحوم حول المكان الذى مات فيه .
* قراءة القرآن عند الميت حتى يباشر بغسله .
* تقليم أظافره وحلق عانته .
* إدخال القطن فى دبره وحلقه وأنفه . المدونة للإمام مالك [مدخل ٢٤٠/٣] .
* الحزن على الميت سنة كاملة لا يختضب النساء فيها بالحناء ولا يلبس الثياب الحسان، ولا يتحلين [المدخل : ٢٧٧/٣] .
* قلب الطنافس والسجاجيد وتغطية المرايا والثريات .
* الإعلان عن وفاة الميت من على المنائر .
* قولهم عند اخبار أحدهم بالوفاة : الفاتحة على روح فلان .
* إيقاد السراج أو القنديل فى الموضع الذى غسل فيه الميت ثلاث ليالٍ من غروب الشمس إلى طلوعها، وعند بعضهم سبع ليالٍ .
* ذكر الغاسل ذكراً من الأذكار عند كل عضو يغسله .
* الجهر بالذكر عند تشييع الجنازة .
* سدل شعر الميتة من بين ثدييها .

الكفن والخروج بالجنازة :

* تزيين الجنازة .
* حمل الأعلام أمام الجنازة .
* وضع العمامة على الخشبة (صرح ابن عابدين فى «الحاشية» [٨٠٦/١] بكراهة هذا وكذا حمل الأعلام) ويلحق به الطربوش وإكليل العروس وكل مايدل على شخصية الميت .
* حمل الأكاليل والآس والزهور وصورة الميت أمام الجنازة .
* ذبح الخرفان عند خروج الجنازة تحت عتبة الباب [الإبداع فى مضار الابتداع للشيخ على محفوظ ص١١٤] .
* اعتقاد بعضهم أن الجنازة إذا كانت صالحة خف ثقلها على حامليها وأسرعت .
* التزم البدء فى حمل الجنازة باليمين . [المدونة : ١٧٦] .
* الإبطاء فى السير بها .
* التزاحم على النعش .
* ترك الإنصات فى الجنازة .
* الجهر بالذكر أو بقراءة القرآن أو البردة أو دلائل الخيرات ونحو ذلك .
* اتباع الميت بمجمرة .
* الطواف بالجنازة حول الأضرحة أو البيت العتيق سبعاً .
* التزام حمل الجنازة على السيارة .
* حمل بعض الأموات على عربة المدفع .
* الرثاء عند حضور الجنازة فى المسجد قبل الصلاة عليها أو بعدها وقبل رفعها أو عقب دفن الميت عند القبر . [الإبداع ١٢٤ ــ ١٢٥] .

الصلاة عليها :

* الصلاة على الغائب مع العلم أنه صُلّى عليه فى موطنه .
* نزع النعلين عند الصلاة عليها ولو لم يكن فيهما نجاسة ظاهرة، ثم الوقوف عليهما .
* وقوف الإمام عند وسط الرجل وصدر المرأة .

الدفن وتوابعه :

* ذبح الجاموس عند وصول الجنازة إلى المقبرة قبل دفنها وتفريق اللحم على من حضر .
* فرش الرمل تحت الميت لغير ضرورة .
* جعل الوسادة أو نحوها تحت رأس الميت فى القبر .
* قراءة القرآن عند إهالة التراب على الميت . [المدخل ٢٦٢/٣ ــ ٢٦٣] .
* تلقين الميت .

• السكن عند الميت بعد دفنه .
• الصدقة عند القبر . [الاقتضاء ١٨٣ . كشف القناع ١٣٤/٢] .
• صب الماء على القبر من قبل رأسه ثم يدور عليه، وصب الماء الفاضل على وسطه .

التعزية وملحقاتها :

• التعزية عند القبور [حاشية ابن عابدين ٨٤٣] .
• الاجتماع فى مكان للتعزية [زاد المعاد ٣٠٤/١، سفر السعادة للفيروز أبادى ص ٥٧] .
• تحديد التعزية بثلاثة أيام .
• ترك الفرش لمدة سبعة أيام لجلوس من يأتى إلى التعزية .
• إسقاط الصلاة .
• القراءة للأموات وعليهم .
• السبحة للميت .
• العتاقة للميت .
• قراءة القرآن له وختمه عند قبره .
• البيات عند القبر أربعين ليلة .
• تأبين الميت ليلة الأربعين، أو عند مرور كل سنة المسمى بالتذكار .

زيارة القبور :

• زيارة القبور بعد الموت ثالث يوم، وزيارتها على رأس أسبوع، ثم فى الخامس عشر، ثم فى الأربعين ويسمونها الطلعات [نور البيان فى الكشف عن بدع آخر الزمان] [ص ٥٣ — ٥٤] .
• زيارة قبر الأبوين كل جمعة [والحديث الوارد فيه موضوع] .
• زيارة القبور يوم عاشوراء، وليلة النصف من شعبان وإيقاد النار عندها .
• الذهاب إلى المقابر فى يومى العيدين ورجب وشعبان ورمضان .
• زيارتها يوم العيد .
• زيارتها يوم الاثنين والخميس .
• الوقوف أمام القبر واضعاً يديه كالمصلى ثم يجلس .
• قراءة الفاتحة للميت [تفسير المنار ٢٦٨/٨] .
• قراءة يسٓ على المقابر .
• قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ إحدى عشرة مرة .
• زيارة قبر الجندى المجهول أو الشهيد المجهول ! .
• إهداء ثواب العبادات كالصلاة وقراءة القرآن إلى أموات المسلمين .
• إعطاء أجرة لمن يقرأ القرآن ويهديه للميت .

* رش الماء على قبر الزوجة المتوفاة عن زوجها الذى تزوج بعدها زاعمين أن ذلك يطفىء حرارة الغيرة [الإبداع / ٢٦٥] .
* السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين .
* جعل الرخام أو ألواحاً من الخشب عليها .
* جعل الداربزين على القبر .
* تزيين القبر .
* جعل المصحف عند القبور لمن يقصد قراة القرآن هناك .
* تقديم عرائض الشكاوى وإلقاؤها داخل الضريح زاعمين أن صاحب الضريح يفصل فيها .
* ربط الخرق على نوافذ قبور الأولياء ليذكروهم ويقضوا حاجتهم .
* إلقاء المناديل والثياب على القبر بقصد التبرك .
* استلام القبر وتقبيله .
* الطواف بقبور الأنبياء والصالحين .
* التوسل إلى الله بالقبور .
* الإقسام به على الله .
* الاستغاثة بالميت .
* الخروج من زيارة المقابر التى يعظمونها على القهقرى .
* رفع القبر والبناء عليه .
* نقش اسم الميت وتاريخ موته على القبر .
* قولهم : السلام عليك ياولى الله، الفاتحة زيادة فى شرف النبى ﷺ والأربعة الأقطاب .

البدع التى تقع فى العبادات والعادات :

* الجهر بالنية فى الصلاة .
* الوسوسة ، وهى سر أنواع البدع .
* ختم الصلاة على الهيئة المعروفة من رفع الصوت به وفى المسجد والاجتماع له والمواظبة عليه .
* ماأحدث فى صلاة التراويح من قولهم عقب الركعتين الأوليين منها : الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله ..
* تعدد الجماعة فى مسجد واحد فى آن واحد .
* قراءة القرآن جماعة المسماة بالقراءة « الليثية » .
* الافتخار بدعوى العلم أو القرآن أو شىء من العبادات .
* اعتقاد الشؤم أو الخير أو السعادة فى مثل المنازل والأزواج والدواب والضيف .
* التصديق بكثير من الحوادث المستقبلة .
* التكلف الذى أوقع الناس فيه حب الرياء والسمعة ومايكون فى ولائم الأعراس من الإسراف .

والله يسدد خطانا على الطريق ،،، **المحقق**

فهـــرس

الموضوع	الصفحة

بدع الكلام والمشى

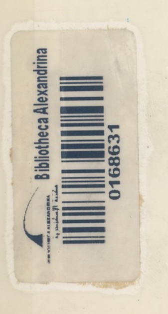
بدع التبتل والانصراف عن الدنيا

ألوان من البدع متفرقات

وصية غالية فى التمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة

رقم الايداع ٤٢٣٨ / ٨٧

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت: ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١



١٧٥ قرشا